كـرات
النـــار

رئيس التحرير
صلاح معاطي

المشرف العام
د. عطيات أبو العينين

الهيئة الاستشارية
د. طالب عمران (سوريا)
د. الهادي عياد (تونس)
د. قاسم قاسم (لبنان)
د. السيد نجم (مصر)
يعقوب الشاروني (مصر)
إقبال المطيري (الكويت)
واكد ماجد شعلان (سوريا)

إصدار
النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي
سماح الجمال

المدير الفني
أحمد جابر

تصميم الغلاف
رامي معاطي

التصميم الداخلي
وليد محمد

صفحة الغلاف مهداة
من الفنان التشكيلي
د. خالد نصار

الطبعة الأولى
1438 هـ - 2016 م
جميع الحقوق محفوظة للناشر
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
2017 - 2756
ISBN: 978 - 977 - 6580 - 40 - 4
سلسلة شهرية تصدر عن:
دار النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى - الحي الأول -
مدينة الشيخ زايد - الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢
٠٠٢ - ٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥
E-mail: alnokhoba@gmail.com

سلسلة الخيال العلمى

٢

كـرات النـار

د. عطيات أبو العينين

٢٠١٧

هذه السلسلة من الخيال العلمي

الأفكار طيور تحلق في سماء الحاضر بغية الوصول إلى المستقبل، جناحاها «الخيال» بما يحمله من رؤى وتصورات وإثارة وإبداع، و«العلم» بما يحمله من تجارب وخبرات واكتشافات قد تتجاوز حدود الخيال ولا تقف عند الواقع.

وأدب الخيال العلمي يعتمد على الأسلوب والجملة الأدبية كأي عمل أدبي، لكنه يتحرك في بيئة علمية تنظر إلى أبعد مما هو موجود بالفعل وتستشرف آفاق المستقبل اعتمادا على ما وقع من أحداث في ظل القوانين العلمية.. وعلى الخلفية العلمية للكاتب ومتابعته لمنجزات العصر وأحدث الاكتشافات، بشرط أن تكون لديه مخيلة لا حدود لها وحساسية دقيقة نحو التطور التكنولوجي والتقني المحتمل.

وهذه السلسلة تهتم بكل مجالات الإبداع في الخيال العلمي، من رواية وقصة ومسرح ودراسات أدبية، مع التركيز على الشباب وتشجيعهم بنشر إبداعاتهم لتكون الخطوة التالية هي وضع هذه الكتابات على طريق السينما والدراما.

ومن «مركز النخبة» نحلق بالخيال العلمي إلى المستقبل المحتمل والممكن مصريا وعربيا وعالميا..

الفصل الأول

هبت نسائم الصباح الباردة، فسرت بجسدي قشعريرة.. تدثرت بالجاكيت الجلدي.. وانكمشت بمقعدي في الطائرة أتطلع إلى كتل السحاب التي تحلق حولنا من كل جانب، وكأنها كرات ضخمة من الثلج، تتداخل وتتعانق فيما بينها، انتبهت على صوت جارتي بالطائرة تحدثني وفي الحقيقة كانت تحدث نفسها:

- الطقس اليوم سيء للغاية.

عقبت..

- ما كان ينبغي أن أسافر اليوم، وأرجأت الرحلة ليوم آخر.

ابتسمت في غموض وهي تقول:

- المضطر يركب الصعب، والغد مجهول كتلك الأرض التي تختفي خلف السحاب، لا يبدو منها شيء.

- بالفعل.. العمل يضطرك لفعل أشياء كثيرة لا تروق لك.

ظهرت المضيفة الماليزية بعينيها الضيقتين وفمها الدقيق وابتسامتها العذبة، متمنية السلامة للركاب في الرحلة ٥٣٩، وأن بإمكانهم حل حزام الأمان بعد أن اتخذت الطائرة طريقها في الجو، لم تغفل عيني عن مؤشر الحرارة الموجود على الشاشة الصغيرة أمامي والتي تشير

إلى درجات تتراوح بين الصفر وعشر درجات تحت الصفر، كلما زادت الطائرة في الإرتفاع.

كنا نتناول طعامنا بينما تم التعارف بيني وبين جارتي في الطائرة عندما بادرتها بسؤالي:

- أهذه هى المرة الأولى التي تذهبين فيها إلى «ماليزيا»؟

أزاحت خصلة من شعرها الذهبي تدلت على عينيها فجعلتها أكثر إثارة وهي تقول بلغة أشبه بالسحر:

- لم أكن أعلم أن جمال الطبيعة خص ماليزيا وحدها بهذا الجمال الساحر الأسطوري ولا سيما جزيرة «مهسوري» القابعة في حضن المحيط الهندي، وكأنها قطة تلوذ بحضن أمها الدافيء فكل جزر أرخبيل الملايو وماليزيا والمالديف رائعة، تجولت فيها جميعاً بل عشت فيها أياماً اعتبرها أجمل أيام حياتي، وكلما ضاقت نفسي بما حولها، أحمل حقيبتي وأتوجه مباشرة للجزيرة، فأنا دائماً على موعد معها.

ضحكت وأنا أقول مازحاً:

- أشاعرة أنت؟

لم تزايلها الإبتسامة العذبة وهي تقول:

- بل ذواقة للجمال، أراه في عيني الطبيعة الساحرة، وسريان بحرها وعلو أشجارها السامقة، بل وطيورها السارحة في أعالي السماء ترفرف بحرية نتمنى جميعاً أن نصل إليها.

- يبدو أنك حديث العهد بماليزيا.

- بالفعل.. هذه هي المرة الأولى التي أزورها، بعد أن سمعت عنها الكثير.

- سياحة؟

- بل عمل، فطبيعة عملي كصحفي دفعتني للذهاب إلى هناك لإجراء بعض التحقيقات.

انتبهنا فجأة على علامة حزام الأمان وهي تضاء، أتبعه صوت قائد الطائرة يقول بلهجة تحذيرية:

- الرجاء إحكام إغلاق حزام الأمان، لأننا نمر بمنطقة منخفضات جوية.

نظرت لها بطرف عيني وأنا أقول:

- صدق حدسي، فمنذ ركبت هذه الطائرة، وأنا أشعر بجو غريب يكتنفه الغموض دون سبب واضح، وها نحن قبالته وجهاً لوجه.

كانت تسند رأسها على المقعد، ثم التفتت إلي:

- هذا أمر طبيعي فالطريق إلى ماليزيا مليء بالمطبات الهوائية، التي ستشعر بها بنفسك بعد قليل، ما زلت أذكر نفسي في رحلتي الأولى.. مع أول المطبات كادت روحي أن تزهق، لكن سرعان ما اعتدتها، وعدت استمتع برحلتي.

واجهتني بعينيها الجذابتين العميقيتين، فشعرت باضطراب في قلبي، وكأن المطبات الهوائية أصابتني بالفعل قبل أن تصيب الطائرة، فأخذتني في هوة سحيقة لا أعرف مداها، وقد ظهر علي الإرتباك، وزاغت عيناي، واضطربت يداي.

أدركت الحسناء ما فعلته بي فأرسلت ضحكة ترنحت في الهواء عندما سقطت الشوكة من يدي فالتقطها لتسقط السكين وقد زادت

المطبات انخفاضاً، وها هى تعلو بي مرة أخرى وقد جعلت قلبي يتعثر في الطيران بهذه الخلخلة القلبية، وضحكاتها المتعالية الساحرة وربما أثرت على حركة الملاحة الجوية.

لم تمر سوى دقائق قليلة، حتى شعرنا باضطرابات جوية.. كنت أحسبها توابع تأثير جارتي الحسناء علي.. لا.. ليست مجرد مطبات لقد سافرت كثيراً بالطائرة، وشعرت كثيراً بتلك المطبات التي تسحب الطائرة إلى أسفل بقوة أما ما حدث، فهو أشبه بدوامة جوية أخذت الطائرة معها في عشوائية جنونية، وكأنها وقعت في أسر مارد جبار خفي يعبث بها.

انتفضت رفيقتي من مقعدها، وهي تحملق خارج الطائرة، كأن مساً كهربائياً أصابها عندما نظرت إلى ما شد انتباهها فوجئت بالتماعة برق خاطفة تندلع بالقرب من الطائرة وقد أحاطت بها من كل جانب، أفاق بعض ركاب الطائرة من إغفاءتهم ساد هرج ومرج أرجاء الطائرة، وراح طاقم الطائرة يحاول أن يهديء من روع الركاب وبكاء الأطفال والسيدات، بينما كانت المضيفة تقول:

-أرجوكم الزموا مقاعدكم واربطوا أحزمتكم.. الهدوء.. الهدوء يا سادة..

أدركت أنها الرحلة الأخيرة في حياتي، أحسست أني أنتقل للعالم الآخر، وأن روحي تسحب مني. بدا المنظر غريباً، كأنني محاط بأشباح أراها تتحرك أمامي لا أعرف كنهها، لا لم تكن أشباحاً بل كرة متوهجة لونها أبيض يميل إلى الزرقة، سابحة في فضاء الطائرة تتحرك بحرية

عبر المكان، وتنزلق داخل الطائرة بصمت بالغ حتى اختفت في مؤخرة الطائرة تاركةً رائحة نفاذة أشبه برائحة الكبريت ومخلفة بعض الرماد الأبيض الذي تناثر هنا وهناك.

جلس الجميع لا يبدون حراكاً، وقد حبست الأنفاس وتلاحقت العيون، وعلت دقات القلوب تتابع الكرة المتوهجة، وهي تمضي في حركة منتظمة على طولِ الممر، متخذة طريقها بينهم حتى اختفت.

ما الذي يمكن أن يحدث بعد ذلك؟ هل انفجار مروع تتناثر بعده الأشلاء والأشياء في كل مكان؟ هل سقوط وتداعي وانسحاق في أعماق سحيقة سنغيب ونغيب دون أن نصل إليها؟ هل نيران متأججة تبتلعنا في طياتها لنمسي بعدها هباء تذروه الرياح، ونصبح مجرد خبر في صفحة الحوادث دون أن يلتفت إليه الكثيرون، أو ربما ينتبه البعض فيمصمص شفتيه ألماً وحسرة.

رحت استسلم للمصير بقلب واجف وأصابع مرتعشة وعينين زائغتين. عندما التفت إلى جارتي للإطمئنان عليها، ولهول المفاجأة لم أجدها مكانها، وكأن الكرة أخذتها في طياتها واختفت بها، أعلنت المضيفة أننا سنضطر للهبوط الاضطراري بالهند حتى نطمئن على سلامة الطائرة.

شعرت بالقلق يزداد، ودقات قلبي تعصف بي مزمجرة كالرياح العاتية، تعلو على كل الأصوات، وصاحب الهبوط الإضطراري رعشة اضطرارية شملت جسدي كله، واصطكاك ببعضها حتى حروفي تبعثرت وأفلتت مني كحبات الأرز المتناثرة هنا وهناك، ولا أستطيع الإمساك بحرف منها.

ورغم كل ما انتابني من قلق وتوتر، وجدتها فرصة للتعرف على سابع أكبر بلد من حيث المساحة الجغرافية، والثانية من حيث عدد سكانها، فمن منا يستطيع أن ينكر أنها البلد الديموقراطي الأكثر ازدحاماً في العالم، كما أنها مهد حضارة وادي السند.

هبطت الطائرة بمطار «بومباي» بالهند، وعندما نظرت من الكوة الزجاجية بجانبي وجدت عدداً كبيراً من سيارات الإطفاء والإسعاف توقعاً لحدوث أمر ما. وعندما فتحت الأبواب اندفعنا نحوها ناجين بأنفسنا بينما الطاقم يطمئننا ويحثنا على الهدوء.

جلسنا في صالة الترانزيت بمطار «بومباي»، وكانت فرصة لالتقاط الأنفاس، وإستعادة دمائنا التي فرت هاربة خلف الكرة المتوهجة، وإذ بي ألمح جارتي الحسناء قد ظهرت وهي تحمل فنجاناً من القهوة، ما إن رأتني حتى توجهت نحوي وعلى شفتيها إبتسامة رائعة فرحت أسألها:

- أين اختفيت؟

ضحكت وهى تقول:

-لم اختف لكنني وجدت نفسي في مؤخرة الطائرة فوق أرجل أحد المسافرين، ولا تسألني كيف وصلت إليه.

ضحكت أنا أيضاً وعدت أسألها من جديد.

-تصوري لم أعرف اسمك حتى الآن؟

-ماهيتاب.. فتاة استعراضية.. وأنت؟

-محمود القباني.. صحفي.. سكت قليلاً ثم سألتها:

-أمسافرة للعمل.. أم للسياحة؟

ارتشفت رشفة من فنجانها وهي تقول:

-الاثنان معاً، لدى عقد للعمل بأحد الملاهي ولكن المتعة الكبرى أن تستمتع بجمال الحياة هناك، وبهذه المناسبة اسمح لي أن أدعوك عندما نصل إلى هناك على سهرة رائعة لن تنساها ما حييت، فسوف أحيي افتتاح أكبر صالة في مهسوري، وأعدك ببرنامج غاية في الروعة والجمال، وعندها لن يكون اسمي «ماهيتاب». تعجبت وقلت لها:

-هل ستغيرين اسمك؟

ضحكت:

-لا.. ليس بالضبط، ولكن عندما نكون أصدقاء ستناديني «ماهي».

قلت لها:

-أنت «ماهي» منذ الآن.

انتبهت على صوت أحد الركاب يبدو عليه الإتزان والوقار ويتحدث بلهجة علمية خبيرة:

-الأمر ليس طبيعياً على الإطلاق، فظهور هذه الكرة المتوهجة يحمل العديد من علامات الإستفهام، وجدتها تترك مكانها وتتجه نحوه وهي تسأل:

-وما تفسيرك يا أستاذ لما حدث؟

تبعتها وتحلقنا حول الأستاذ الذي قدم إلينا نفسه دكتور «بسام الشندويلي» أستاذ الفيزياء بجامعة فلوريدا.

-أنا أعمل في هذا المجال ولي أبحاثي التي تتناول مثل هذه الظاهرة، وفي رأيي أنه من المبكر جداً أن نجد تفسيراً معقولاً لهذا الحدث.

رحنا نتحدث في موضوعات شتى، وانتقلنا من الحديث عن الكرة النارية التي ظهرت داخل الطائرة إلى «ماليزيا» وجمالها، وأخذ الدكتور «بسام» يصف لنا ذلك الجمال الذي يحيط بجزيرة «مهسوري» حتى تمنيت أن يمر الوقت سريعاً لكي أرى الجزيرة واستمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة.

شملتنا سحابة حانية من الألفة والود وبدأنا نتعارف، وقد دعانا الدكتور «بسام» إلى رحلة بحرية إلى الجزيرة عندما نصل، وأبدى الجميع الموافقة على الفور.

أعلنت صالة الترانزيت بمطار «بومباي» بمواصلة الرحلة ٥٣٩ وعلى ركاب الطائرة التوجه إليها. كنا نتساءل فيما بيننا هل تم إستبدال الطائرة بأخرى، أم أنهم سيواصلون الرحلة بنفس الطائرة وجاءنا الجواب على لسان أحد طاقم الطائرة بأن اللجنة الفنية التي قامت بفحص الطائرة قررت أن الطائرة بحالة جيدة وليست بها أية عيوب، وأن ما حدث داخل الطائرة ليس إلا انعكاساً ضوئياً.

لمحت غموضاً واعتراضاً مكتوماً على وجه الدكتور «بسام» فملت عليه هامساً:

-يبدو أنك لست مقتنعاً يا دكتور..

هز رأسه وهو يجيب:

-بالطبع.. فالانعكاس الضوئي لا يترك وراءه أثراً مادياً كالذي شاهدناه على أرضية الطائرة ورغم أن الضوء يملك طاقة وينقلها في الفضاء إما بالأجسام أو بالموجات حول طبيعة الضوء إلا أننا لم نتمكن

حتى الآن من تفسير جميع الظواهر البصرية.

هززت رأسي معقباً على كلامه، وفي الحقيقة كنت مقتنعاً بكل كلمة قالها.

واصلنا الرحلة من «بومباي» إلى «ماليزيا»، دون أن يحدث شيء غير عادي، ونحن نتحرك خارج الطائرة لمحت الدكتور «بسام» يقترب مني ويضع يده على كتفي ويقول بصوت خفيض:

-لقد علمت من أحد الفنيين الذين قاموا بفحص الطائرة أنهم استدلوا على وجود كرة النار داخل برميل من الماء، ارتفعت درجة حرارته بشكل كبير، وهذا في حد ذاته ينسف نظرية الإنعكاس الضوئي.

سألته:

-وما تفسيرك يا دكتور؟

-كنت واثقاً من أن تلك الكرة ذات صلة بالعاصفة الرعدية، رغم أنه لا علاقة لها بالبرق ذاته. وأنها أطلقت عدة وحدات من ميجاجول من الطاقة، وهو يساوي نتاج سخانات كهربائية تعمل بطاقة كيلو وات في الساعة، وهذا ما رفع درجة حرارة الماء في البرميل.

سكت الدكتور «بسام» قليلاً ونحن نجتاز الممر المؤدي إلى صالة الجوازات، ثم قال مواصلاً حديثه:

-إنني بحكم عملي كمسئول عن معمل إلكترونيات في جامعة فلوريدا، استطعت أن أحدد ذلك الشيء الغريب الذي ظهر عقب العاصفة الرعدية، فقطره لا يزيد عن عشرين سنتميتراً.

سألته مقاطعاً:

-معذرة يا دكتور كنت أتوقع حدوث انفجار؟

أجاب الدكتور:

-لا أعتقد.. لأن الحرارة المنبعثة عنه قليلة للغاية.

-هل يصدر عن هذا الشيء أية مغناطيسية؟

ابتسم وأجاب في ثقة وهو يخرج مطواة صغيرة وعلبة طباق:

-لا أظن ذلك.. لأن الأدوات المعدنية التي كانت بجيبي لم تتأثر كما ترى، وكل ما حدث أمام أعيننا يمكن أن نعتبره نموذجاً مجسداً لما يعرف بكرات البرق، التي عادة ما تحوم أو تتقافز أو تتحرك بلا نظام. فهى كتلة مغلقة من الضوء، كروية في العادة على شكل ثمرة الكمثرى في بعضِ الأحيان، ضبابية في إطارها وذات ألوانٍ متباينة.

كنا قد وصلنا إلى صالة الجوازات وبالرغم من متاعب الرحلة ٥٣٩، وما اكتنفها من غموض وتوتر وكرة النار التي ظهرت فجأة لتضيء عشرات من علامات الإستفهام فأفضل ما فعلته هذه الرحلة صداقتي للدكتور «بسام الشندويلي».

الفصل الثاني

يوم صحو تشرق فيه شمس الجزيرة كفتاة جميلة تمتطي الريح، وتشرع عيونها في الوجود فتبهر بجمالها من يراها، وقد نبضت الأجساد بحرارتها، وأكسبتها لوناً برونزياً، فراحوا يطفئون شوقهم بالغوص في مياه البحر لعلها تروي ظمأهم، وتهدئ من حرارة أجسادهم، ثم يخرجون في إنهاك لذيذ يتمددون ويستلقون على رمالِ الشاطيء فتداعبهم الشمس وكأنهم أوثقوا بأهدابها فلا أمل في الفكاك من أسرها. بل أنها لو فكت قيودهم وأطلقت لهم العنان، ما استطاعوا التحرك بعيداً عنها قيد أنملة.

علت ضحكاتنا كمحرومين في دوامةِ العمل اليومي، بلغت سعادتنا ذروتها بهذا الجمع وحلاوة الإنطلاق، دون قيود وكل منا على طبيعته، وبرغم أنني كنت متحفظاً في البداية فإنني سرعان ما أصبت بسخونتها، فذبت بين الجميع وأصبحت على سجيتي، وتوائمت حتى أصبح الكل كأفراد عائلتي، خاصة دكتور «جوزيف» وزوجته «جانيت» وولديهما، «مايكل» و«بيتر».

أسرة سعيدة تعيش الحياة دون تعقيدات، يعبون من حلاوتها عباً، فمدام «جانيت» طبيبة أطفال لديها حنان يكفي كل العالم، أكسبها

التعامل مع الصغار براءة وتلقائية، راحت تطعمنا جميعاً من طعامها المميز، تسعدها إطراءاتنا على مشرطها الذهبي ومغرفتها الكبيرة، وهي تضحك ضحكتها الطفولية البريئة كأطفالها الذين تعالجهم، وتحنو عليهم نشيطة متحمسة لا تبقى على حال، هي التي تشيع روح المرح وتشارك في الغناء بصوتها الجميل، يزيد من نقاء صوتها تألق مياه نهر«المنكروف» وهي تسطع كدنانير الفضة على صفحة النهر، وقد رست بعض القوارب بألوانها الزاهية بالقرب من الشاطيء تنتظر في لهفة راكبيها، وقد امتدت أشجار المنكروف على امتداد الشاطيء موازية للجبال التي تظهر عن بعد في الجانب الآخر من الشاطيء.

بساط أخضر افترشه النهر بطول ساحله، ليكسو الطبيعة بجمال أخاذ، فراح يداعب أنامل البساط فيغمره حيناً وينحسر عنه أحياناً أخرى، ويندمجان معاً في لحن من العشق الأبدي تفننت «ماهيتاب» في إبراز جمال وجهها هذا الصباح، فاختارت ظلاً لعينيها الواسعتين اللامعتين بلون السماء الصافية ليضفي عليهما مسحة من الألق والجاذبية، وشعور بالراحة لكل من ينظر إليهما، ولكن هذا الشعور سرعان ما يتبدل فتشعر أنها تجرك إلى أغوار سحيقة لا تفهم كنهها، حاولت عدم الإنسياق لكنه شعور طاغ لا تملك معه إلا أن تترك نفسك مستسلمة للأغوار السحيقة تفعل بك ما تشاء، أما طلاء الشفاه الذي وضعته كان لونه أحمر مثير، تشعر بالخوف كلما اقتربت منها لكي لا تطبق على ثمرتي الفراولة الطازجتين بإحمرارهما الأخاذ، فتبعث فيك حرارة وانجذاباً، أما شعرها الذهبي فراح يبرق كخيوط من

ذهب وهو ينساب بطوله وينسدل على كتفيها ليخفي نصف ظهرها العاري يداعبه الهواء بلا خجل، وتتفرسه العيون بلا حياء.

بدت «ماهيتاب» هذا الصباح كإحدى حوريات جزيرة الأساطير «لنكاوي»، كنا نتطلع إليها بنهم.. لم يعبأ المتزوجون منا بنظرات الإستنكار من زوجاتهم.. والتي تطورت إلى تهديد ووعيد بل راحت إحداهن تلوح لزوجها بسكين كبير ورزمة من الأكياس السوداء فضج الجميع بالضحك.

بادرنا الدكتور «بسام»:

-لنكاوي جزيرة الأحلام كما ترون، المكان الأكثر جاذبية للمسافرين الباحثين عن مكان هادئ للإستجمام والإسترخاء وسط منتجعات تطل على البحر، في ظل طبيعة خلابة تجمع بين الغابات والشواطئ والجبال والرحلات البحرية في غابات المنكروف على المحيط الهندي، والمساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية التي تحتضن هدوء وجمال الريف الماليزي.

بادرته بسؤال يلح علي:

- من أين جاءت تسمية لنكاوي؟

-أشار الدكتور « بسام الشندويلي» إلى نصب شاهق اتخذ شكل نسر عملاق وراح يقول:

-كان علي أن أبدأ بهذا النصب انظروا إلى هذا النسر، يعتبر أهم معلم على أرض لنكاوي للقادمين عن طريق البحر، ومن وجود هذا النصب بجوار محطة الزوارق، ولونه الذي يتردد بين اللون الأحمر

والبني جاء اسم الجزيرة من هذا النسر العملاق حيث تعني كلمة «هيلانج» باللغة الماليزية القديمة النسر وتعني كلمة « كاوي « اللون البني ودمجت الكلمتان لتصبح كلمة « لنكاوي» ، والنصب يحتوي على المطاعم والمظلات والحدائق والبحيرات، ولقرب النصب من البحر فإنك تستمتع بالتنزه في حدائقه والأكل في مطاعمه، وتشعر بالإنتعاش بسبب نسمات البحر الهادئة، وهدير الأمواج التي تدغدغ آذان السياح فيشعرون أنهم ملكوا الكون بأسره .

تدخلت «ماهيتاب» برقة:

-لنكاوي، المكان المفضل للعاشقين والمحبين والأزواج الذين يعن لهم قضاء شهر عسل أسطوري..

قاطعتها مازحاً بخبث:

- ترى إلى أي جمهور تنتمين العاشقين أم الأزواج؟

ضحكت وقد فهمت ما أرمي إليه:

-أنا عاشقة لماليزيا محبة للنكاوي.. أتطلع لقضاء شهرعسل فيها. فبموقعها المميز تكتسب لنكاوي أهمية بالغة في إضفاء شعور بالهدوء والاسترخاء، وسط هالة كبيرة من الأماكن السياحية التي تملأ برامج السياح بالمغامرة والتشويق.

راحت «جانيت» تقول:

-قضينا فيها شهر العسل أنا و«جوزيف» وها نحن نعود إليها لتشهد على حبنا، وترى ثمرتيه تميل على زوجها «جوزيف» تنظر له بوله.. تحتضن ولديها.

أما «جوزيف» فيربت عليها قائلاً:

-الأساطير جزء أساسي من تراث الأرخبيل المكون من تسعة وتسعين جزيرة، فالعديد من الجزر المتناثرة في المحيط، ومعها المغارات والجبال، تحكي من التراث الشعبي مغامرات وبطولات يختلط فيها التراث بالأسطورة، والخرافة بالحقيقة، تشترك في تكوينها بطولات الفرسان وأميرات الجن والطيور الجارحة كالنسور، التي أصبحت شعاراً لهذه الجزيرة. انظروا ها نحن قبالة «تايلاند» حيث المنتجعات المثيرة وسط الحدائق وأشجار الكازورينا العملاقة، التي أصرت «جانيت» على حمل بذورها إلى منزلنا، لغرسها بعد عودتنا من شهر العسل، ونحن ندعوكم لمشاهدتها في حديقة منزلنا بعد أن أثمرت ونحصد ثمارها كل عام، فلتتذوقوا ثمار الكازورينا بمذاق الحب اللذيذ وتشربون نخب حبنا مشروب « جي جي» الحروف الأولى «لجانيت وجوزيف» وهو تركيبة خاصة ابتدعناها معاً.

أشار دكتور « بسام» للجميع:

-من يحب المغامرة ومصاحبة أسماك القرش فليستعد.. سنتجه معه حيث المغارات والكهوف داخل نهر منكروف وستستغرق الرحلة خمساً وأربعين دقيقة بالفيري وهو بمثابة تك تك بحري لنقل الركاب.

ضحك الجميع وراحت الصغيرة « داليا « تسأل والدتها السيدة «جمانة سيف»

-وهل يمكنني اللعب مع أسماك القرش؟

ضحكت الأم وقالت:

-سنشاهدها عبر قارب زجاجي آمن وإلا ابتلعتنا.. وأصبحنا حساء مغذياً لصغارها.

رحنا نتجول في جزيرة لنكاوي ما بين رحلات للغوص وسط الأحياء المرجانية متعددة الألوان والفصائل، ونرى أسماك القرش ترضع صغارها. لقد استفز هذا المشهد مشاعر داليا الصغيرة فراحت تقول لأمها:

-الأم ترضع صغارها، وماذا يفعل الأب إذن؟

فطنت الأم إلى ما ترمي إليه الصغيرة وقالت بنبرة حزينة:

-يرعاهما يا داليا.

لم تسكت الصغيرة وعلى ما يبدو خاضت في موضوع شائك لا تحب الأم أن تخوض فيه:

-ولماذا لا يرعانا أبي مثلما ترعى أسماك القرش أبناءها؟

غيرت الأم دفة الحديث وقالت:

-انظري يا داليا إنه نجم البحر.. حيوان مائي لا فقاري، وليس له دماغ وبالرغم من ذلك يحتوي على جهاز عصبي.

قالت داليا منبهرة:

-يعجبني شكله و أذرعه المتعددة وألوانه الخلابة. كنت أتمنى أن يكون لأبي كل هذه الأذرع ليحيطنا بها..

لم تعقب الأم على كلمات ابنتها وكأنها لم تسمعها، لكنني لمحت دمعتين انحدرتا على خدها في محاولة لتجفيفهما، وكأن شيئاً ما تسلل إلى عينيها فأدمعتهما.

عندما وصلنا لنهاية الجزيرة الصخرية في الجنوب الغربي استولت علينا الدهشة، فور رؤيتنا للحديقة المرجانية بمنحدراتها الصخرية وقد غطاها المرجان الملون بشكل ساطع وقد رصع بأنواع عديدة من نجم البحر يتألق وكأنك ترى السماء على صفحة المياه.

توقفنا في هذا المكان، قمنا بالتخييم في غابة المنكروف بالقرب من النسور رحنا نطعمها، وكنا قد اصطدنا كميات كبيرة ومتنوعة من الأسماك.. قمنا بشيها على الطريقة الماليزية أو كما يطلقون عليها «بالباربكيو».

انطلقنا بعد ذلك إلى جزيرة «كورال ايلاند»، حيث حديقة التماسيح، ثم استرحنا بأحد المنتجعات السياحية وركبنا البارشوتات.. رحلة مثيرة تنعم فيها بالمتعة والإثارة والتشويق، كانت الصغيرة «داليا» تصرخ من الخوف هي ووالدتها ولكنهما أبيتا النزول.

لم نر جمالاً كهذا.. الشواطيء ونقاءها، الشلالات تنساب في عذوبة ورقة وكأننا في جنة تأبى أرجلنا الهبوط منها إلى الأرض، حتى لا تصطدم أرجلنا بواقع الحياة الصخري المليء بالنتوءات التي تدمي حياتنا فما أجمل التحليق بعيداً عن الأرض.

توجهنا بعدها حيث حديقة القرود التي تقع في منتصف المسافة بين «جورج تاون» العاصمة وبين «باتو فرنجى» الشهيرة، شاهدنا في الحديقة عدداً هائلاً من أنواع الأشجار وتبادر إلى ذهني سؤال:

-كيف وصلت تلك الأشجار إلى هنا؟

على الفور راح «جوزيف» زوج «جانيت» يقص علينا قصة المهندس البريطاني الذي قام بجلبها وزراعتها، حتى يمثل جميع أشجار ماليزيا

في منطقة واحدة، فنحن بزيارة تلك الحديقة قد زرنا كل أنحاء ماليزيا وشاهدنا كل ما ينمو فيها من أشجار.

تشير السيدة «جمانة» لإبنتها قائلة:

-انظري يا «داليا» كثرة عدد القرود في الحديقة إنه يفوق الوصف والعدد ترى كم يبلغ عدد القرود في الحديقة؟.

راحت الصغيرة تعد القردة وفي كل مرة يختلط عليها العدد فتصرخ باكية شاكية لأمها، وبعد أن أسقط في يدها، حاولت أن ترمي للقرود ببعض حبات الفول السوداني التي تعشقها، و القردة تلتقط حبات السوداني وترفع أيديها محيية «داليا» ومعبرة عن امتنانها و شكرها، وكلما رأت «داليا» القردة تحييها ازدادت سعادة وصاحت في فرحة غامرة.

كنا نستمتع بكل ركن من أركان حديقة القرود، حيث رأينا ركن نبات الصبار، وآخر للزهور النادرة، واصلنا السير داخل الحديقة على طرق معبدة عليها علامات للتعرف على معظم أنواع الأشجار داخل الحديقة، حتى وصلنا إلى الشلال، كان المنظر رائعاً للغاية وقد استبد بنا التعب فجلسنا حيث توجد استراحات أمام الحديقة، وقد انتشر الرسامون والمصورون لإلتقاط الصور التذكارية الفوتوغرافية، ولم يمنعنا ذلك من أن نجلس أمام الرسامين الساعات الطوال لتخليد لوحات نادرة بريشتهم البديعة، على جسر «بينانج» وقد بدا كل منا وكأنه يطير من البرجين التوأم في شكل خرافي أسطوري، ويعود كل منا متأبطاً لوحته في سعادة.

أكملنا مسيرتنا داخل الحديقة حتى وصلنا لحديقة الفاكهة وهي على مقربة من منطقة «باتو فرنجي» الشهيرة، وهي حديقة يوجد بها جميع الفواكه والأشجار التي تزرع في ماليزيا، وتقع على مكان مرتفع مما يجعل الجو بارداً، راح المرشد الذي اصطحبنا يتكلم بعض الكلمات العربية ويشرح للزوار طبيعة كل شجرة، ويسمح للزوار بإقتطاف بعض الثمار.

شعور خيالي فاق كل وصف نقطف الثمار.. نتنقل بين الأشجار، نغرد كالبلابل، نحيا كما نشاء حياة عفوية بسيطة لسنا فيها عبيداً للتكنولوجيا، عند عودتنا كان بانتظارنا طبق مشكل من أحلى فاكهة يسيل لعابك فور رؤيتك إياها، فاكهة طازجة بألوانها الطبيعية الخلابة. بدا السحر والجمال خرافياً، فالمكان مرتفع، يطل على الغابات ويبدو البحر من أعلى وكأنك تعيش في ألف ليلة وليلة مع الحسناوات وهن يتحولن من طيور لفاتنات حسان.

تعلقت عيناي بأصابع «ماهيتاب» وهي تضع إحدى الثمار الغريبة بين شفتيها وتلوكها بأسنانها الدقيقة المنتظمة وتدفعها إلى فمها ويبدو أنها لاحظت عيني وهما تتثبتان عليها فارتسمت على جانب فمها إبتسامة جذابة، سرعان ما تخلصت من هذا الشعور صائحة في براءة:

-مارأيكم في زيارة لمقام «مهسوري»؟

صحت قائلاً:

-ومن يكون هذا الشيخ « مهسوري»

انفجرت ضاحكة.. ثم قالت:

- عندما نصل إليه ستعرفون من يكون.. إنه ليس بعيداً عن هنا.. بضعة دقائق سيراً على الأقدام..

سبقتنا «ماهيتاب» بعدة خطوات وهي تهبط برقة على درجات جرانيتية، والجميع يتسابقون خلفها وكنت أنا أسبقهم. حاولت أن أختلس اللحظات التي أكون قريباً منها لأنعم النظر لوجهها وأتجاذب معها أطراف الحديث وقلت لها مذكراً:

-بيننا موعد لم يتحقق حتى الآن، أم ستحنثين بوعدك؟

ضحكت وقالت:

-أنا دائماً أفي بوعودي، خصوصاً إذا كان ضيفي صحفياً، يسجل كل وعودي ولديه الوثائق على ما يقول، لكن اطمئن يا عزيزي أنت مدعو الخميس القادم على إفتتاح صالة لنكاوي.

أشارت «ماهيتاب» لمقام « مهسوري » وهي تقول:

-ها نحن قد وصلنا.

تلفت حولي لفت نظري إنتشار تماثيل كثيرة في كل مكان لفتاة تنظر في صمت رهيب ينم عن شجن دفين، كأنها تقول هل عرفت قصتي؟ وجدت صورتها على تذكرة الطائرة وعلى الأظرف، في بهو الاستقبال بالفندق وداخل غرف النوم، في كل مكان حولي كانت نفس الصورة لنفس الفتاة، وعند مدخل الميناء وجدنا تمثالاً ضخماً لها عندما سألنا عنها قالوا إنها.. مهسوري قلت لها:

- يبدو المكان مثيراً بالفعل من تلك الفتاة التي تحتل بصورها كل مكان في لنكاوي.

-إنها «مهسوري» فتاة غاية في الجمال تعيش مع والدها العجوز وأخيها الصغير الذي تهتم بشئونه بعد رحيل أمها، والدها يعمل تاجراً بسيطاً كثير الترحال إلى الجزر المنتشرة والمتناثرة في أنحاء ماليزيا وما حولها في المحيط، تنتظره ابنته الجميلة «مهسوري» بالشهور حتى تراه لمدة أيام معدودة ثم يعاود الترحال من جديد، وجهته هذه المرة الى «بانكوك» سافر الأب وبقيت الإبنة وأخيها الصغير كعادتهم في انتظار عائلهم، لكن الشيطان المتمثل في شباب الجزيرة استحضر قواه هذه المرة فذهب ثلاثة شبان من علية القوم في الجزيرة ليلاً الى كوخ «مهسوري» وطلبوا منها أن تمكنهم من نفسها، فلا شيء يرتجى من أب عجوز غائب عنها لا يوفر لها الحماية والأمان، وسيكونون لها عوناً وسيكتمون السر، رفضت هذه الشريفة فهددوها فلم تزد إلا اصراراً على الحفاظ على شرفها ولو كلفها حياتها.

في الصباح وخوفاً من أن تفضح أمرهم اتفق الشبان الثلاثة، وأشاعوا بالجزيرة أن «مهسوري» بغي وتمارس الفاحشة و تمكن الرجال منها مقابل المال وأن تجارة والدها من البغاء ووجدت إشاعتهم المساندة من فتيات الجزيرة اللاتي أصبن بالغيرة من «مهسوري» لجمالها وكانوا يتمنون موتها.

داهم الرجال بيتها وكان والدها بالمنزل، سحبوها إلى منطقة قريبة، ربطوها الى شجرة وأخذوا يطعنونها بالخناجر في بطنها وصدرها، لكنها لم تمت لمدة ثلاثة أيام وكان والدها يأتيها كل يوم وهي مربوطة بالشجرة ولم تنزف من أثر الطعنات فقالت له:

– يا أبي دعهم يطعنون قلبي المتعلق بالله فإن به موتي وبه يستريحون مني.

فجاء أحدهم بخنجره وطعنها في قلبها من أعلى رقبتها ونزفت دماً أبيض، وماتت مهسوري في الحال، لكنها قبل أن تموت دعت الله أن يحرق بيوتهم ويشتت شملهم ويلعن هذه الجزيرة فاستجاب الله دعاءها، ولعنت الجزيرة لسبعة أجيال قادمة وبالفعل هجرت الناس هذه الجزيرة لسنوات طويلة، وعندما وعى أهلها الدرس أقاموا ضريحاً للعذراء ،» مهسوري» في هذا المكان، لتصبح « مهسوري» من أروع الجزر المأهولة في العالم.

***

الفصل الثالث

نال منا التعب وقررنا العودة على أن نستكمل الرحلة في اليوم التالي، عندما وصلت إلى الفندق كنت في غاية الإرهاق، قررت أن آخذ حماما دافئا وأدخل فوراً إلى السرير وأنام.. لكن يبدو أنه لا أمل في الوصول إلى النوم الليلة، فقد علت رنات تليفون الحجرة بالفندق وأتاني صوت حنون دافيء يقطر عذوبة ورقة، عرفت فيه على الفور صوت «ماهيتاب» :

-آسفة للإزعاج.

- لا عليك.

-هل ستنام الآن؟

- بالفعل أنا في السرير أحاول النوم.

ضحكت وقالت:

- هل أنت من النوع الذي يشرب اللبن مبكراً قبل أن ينام؟.

أجبتها:

-لا.. ليس في كل الأوقات.

-هل أتيت إلى ماليزيا لتنام، من يستطيع أن يقاوم هذا السحر والجمال الماليزي الذي يزداد تألقه ليلاً لقد اتفق الجميع على قضاء

الليل على ضفاف نهر المنكروف. سننتظرك في الإستقبال خلال عشر دقائق.

تخيرت مقعدي طوال الطريق بجوار «ماهيتاب»، واكتشفت أنها فتاة تملك من المواهب ما تأسر به لبك، حديثها عذب للغاية، لاتشعر معها بالوقت.

استمتعنا بليل ممتع على ضفاف نهر المنكروف، ونسمات الهواء العليل وصحبة رائعة جعلت الليل يولي سريعاً، تحدثنا في أمور شتى راحت تحدثني عن الحب بلغة شاعرية رقيقة عندما سألتها:

- « ماهي» كيف ترين الحب؟

صمتت قليلاً ثم أردفت:

-الحب كالفن كلاهما يسبحان في الخيال، والمحب يشبه الفنان، فكما أن الفنان يتبرم بشقاء الدنيا ويأبى إلا أن يفر منها ليحقق حلم السعادة والجمال في عمل فني كامل، فكذلك المحب يتبرم بوحشة الدنيا، ويأبي إلا أن يفر منها ليحقق الحب في علاقة سعيدة أو زواج موفق.

رحت أعلق عليها بوجه تعلوه الدهشة:

-لا أصدق أذني، فهذه الرؤية لا تتأتى إلا لفيلسوف خبر الحياة فامتزج بها وامتزجت به.

ضحكت وقالت:

-ومن يدريك فأنا والحياة أخذنا وقتاً كبيراً لنفهم بعضنا البعض.

- أراك تتحدثين كربات الحكمة الإغريقية.

جلجت ضحكتها وقالت:

-أنا مجرد فنانة وبداخل الفنان إنسان فالحب الحقيقي والفن كلاهما رغبة إنسانية عميقة.

-بالفعل يا «ماهي» نحن ننزع إلى إبداع يسمو فوق المشاعر، وهذه الرغبة مستقرة في نفس الجاهل والمتعلم والغني والفقير على السواء، لذلك يمكننا أن نقول إن بذرتها راسخة في تربيتنا البشرية وفي كل واحد منا تكمن روح عاشق وشخصية فنان.

شعرت من حديثي مع «ماهيتاب» أنها على قدر وضوحها وصراحتها تبدو غامضة بعض الشيء كانت عيناها تتلألآن ببريق غريب فبدت كدنانير الفضة تخطف الأبصار كمن ينظر إلى نهر يجري داخل الشمس.

تبرم البعض من تسلل البرودة إلى أطرافهم وأبدوا رغبتهم في الانصراف حتى يستعدوا لرحلة اليوم التالي، في هذه اللحظة فقط اكتشفت أننا انفصلنا تماماً عن الجميع ولم نشعر بوجودهم حتى البرد الذي شعروا به لم يعرف الطريق إلينا.. لقد لفنا شعور بالدفء والألفة لم أشعر بهما من قبل. كأننا تعارفنا منذ زمن بعيد ولم أجد بداً من الانصياع لرأي الجميع والعودة للفندق.

لا أدري لماذا اقتحمت عينا «ماهيتاب» يقظتي ومنامي فلم تفارقني لحظة واحدة، هذه الفتاة لها تأثير كبيرعلي منذ رأيتها في الطائرة، هي من الشخصيات التي تقتحمك ملامحها دون سابق إنذار، هذا الجمال الطبيعي الذي تزيده المساحيق تألقاً وجمالاً كأنها

تضع علامة تعجب واستفهام حول كل معلم من معالمها، فمن يستطيع أن يقف صامتاً أمام هذا الجمال. من بوسعه الصمود بالقرب من وهج الشمس..

انتابني شعور غريب لم يصادفني من قبل، شعور بالسعادة والحزن بالأمان والخوف وكأن كل الأضداد اجتمعت في هذا الكائن الذي هو أنا.. لم أدر سر جرأتي وحديثي الدائم إلى «ماهيتاب» طوال اليوم، من المؤكد أن الجميع قد لاحظ اندفاعي وراءها ومرافقتي الدائمة لها.

انتابني شعور بالخجل بعد الجرأة وأدركت أنه ينبغي علي أن أتروى وأكبح زمام ذلك الفرس الجامح بكل قوته خلف تلك الظبية الشاردة. لم أعتد اللهاث وراء قلبي فقد كان العقل بالنسبة لي هو العِنان الذي يقود قلبي الجموح..

استيقظنا مبكراً وانطلقنا بحيوية رغم أننا لم ننم كثيراً، فقد عدنا متأخرين من نزهتنا على مياه نهر المنكروف، لنكمل رحلتنا إلى قرية «أير هنكات» بنافورة مياهها الدافئة ذات الثلاثة طوابق، والتي تبعد أربعة عشر كيلو من «كواه»، و محلات التحف التذكارية .

أصر الشقيقان «مايكل وبيتر» ولدا «جوزيف» و«جانيت» على الذهاب لحديقة التماسيح التي تبعد اثنين وثلاثين كيلو من بلدة «كواه»، وتحتوي على أكثر من ألف تمساح، يبدو المنظر خيالياً، ولا يمكن أن تشاهده في أي مكان في العالم سوى في حديقة التماسيح بماليزيا.

التقط «مايكل وبيتر» و«داليا» صوراً تذكارية كثيرة بمزرعة التماسيح، وهي تلعب وتؤدي عروضاً شيقة بواسطة مدربها، فهذا

التمساح العملاق الذي يزيد وزنه على أكثر من طنين، وبعض التماسيح الصغيرة وهي تستلقي على ظهرها لشدة الحر.

شلالات العيون السبعة تقع شمال غرب جزيرة مهسوري، تعد من أعاجيب الطبيعية فالمياه فيها مقسمة إلى سبعة أحواض طبيعية، تحيط بهذه العيون غابة خضراء مورقة، مما يضفي عليها لمسة من سحر الطبيعة وجاذبيتها، وتذكر الأساطير أن الجنيات الجميلات كن يسبحن ويمرحن في هذه العيون .

رحنا نتأمل الطبيعة التي تشكل الجبال في أحد جوانب هذه البحيرة امرأة حبلى مستلقية على ظهرها بشكل ظاهر يدعو للتأمل عندما تخاطب الطبيعة البشر والكائنات ترتجل لغة مستوحاة من قاموس الوجود، وقد ساهم هذا الفن الارتجالي في إرجاع تسمية البحيرة والجزيرة إلى أسطورة الأميرة الجنية التي تزوجت أحد أمراء الإنس، ثم مات طفلها بعد ولادته بقليل فحزنت علية الجنية ودفنته في مياه البحر البلورية، فصارت كل امرأة عاقر تسبح في البحيرة لتمنحها طفلاً . ومن المضحك أن البحيرة مليئة بنساء سابحات منهن من تجيد الغوص، وكثيرات منهن لا تجدنه، لكن الجميع أصررن على التبرك بمياه البحيرة، وقد رفعن أكفهن للسماء تتمنين أن تتحقق المعجزة ويرزقن بأطفال.

قررت أن أنفذ قراري الذي اتخذته بالأمس بيني وبين نفسي وهو الابتعاد عن ماهيتاب قدر الإمكان، كنت من حين لآخر أختلس النظر «إليها» حتى لا تلمح اهتمامي الزائد بها، ولحسن الحظ ابتعادي

المتعمد عنها دفعني للاقتراب أكثر من عائلة دكتور«جوزيف» وزوجته «جانيت» واندمجت معهما وظللت ألاعب «بيتر ومايكل» طوال الرحلة. لم تكن دكتورة «جانيت» بالشخصية الحادة الجامدة لكنها كانت ودودة غيرت فكرتي عن الأطباء الذين غالباً ما تجدهم عابسين جادين في أحاديثهم، وحركاتهم محسوبة، أما «جانيت» فكانت منطلقة تتمتع بطفولة «مايكل وبيتر» بل تشاركهما طفولتهما، كانت طفلة أكثر من الأطفال. حتى أننا أجرينا مسابقة في الجري، كانت «جانيت» أولى المتقدمات. وراحت تحثهم على الإشتراك في المسابقة وتعدد لهن فوائد الرياضة والرشاقة، وللحق فهي رشيقة إلى حد كبير لايظهر عليها سنها، برغم أنها تعدت الخامسة والأربعين لكنها تبدو أقل من ذلك بكثير فالحب والمرح شعارها في الحياة.

أسرتني «جانيت» عندما سمعتها تحادث «جمانة سيف» والدة داليا وهي سيدة لا تقل مرحا وانطلاقا عن جانيت:

-الحب هو شريان الحياة.. فالمحب معماري صبور، يجعل من خلال بنائه اللامفهوم مفهوماً. والإبتسامة التي تطل من بين الدموع هي الابتسامة التي تستحق مديح الدنيا. فلا شيء يستحق السعي سوى الضحكات ومحبة الأصدقاء التي تسطع كضوء الشمس فهي المنبع الرئيسي لوجودي الهادىء المرح ومقياس الصداقة الوحيد هو الذكريات والضحكات والسلام والحب.

وجدت نفسي أتدخل في الحوار دون أن أدري، وقد فجر اقترابي من «جانيت» وأسرتها رد فعل غريب من «ماهيتاب» فقد تعمدت الابتعاد

عنها طوال اليوم وعدم توجيه أي حديث إليها مما جعلها تتصرف بشكل مبالغ فيه مع الجميع، وقد لاحظ دكتور «بسام» ذلك فغمز لي بعينيه وهو يهمس في أذني:

-احذر يا صديقي.. «ماهي» تحاول استثارة غيرتك.

فقلت له كمن يبعد اتهاماً يوجه إليه:

-ماذا تقصد يادكتور؟

-لست أنا فقط الذي ألاحظ يا محمود بل إننا جميعاً نلاحظ أن شيئاً ما بينك وبين «ماهيتاب» وهذا الأمر لا غبار عليه، فالحب أمر قدري لا نملكه وليست لنا فيه حيلة، فأنت لك مطلق الحرية فيمن تحب ولكن أمور الحب والزواج يجب على المرء أن يتروى فيها.

أمعنت التفكير في كلمات دكتور «بسام» فربما كان يقصد من التروي البعاد عن «ماهيتاب» ولم يكن الوقت مناسباً للحديث معه بهذا الشأن.

استمتعت بيوم رائع لولا ما حدث عند العودة. كنا نغني ونرقص وفجأة وجدنا «جانيت» تصرخ صراخاً مدوياً، التفتنا إليها لنجدها قد اشتعلت فيها النيران وأحاطت بها هالة زرقاء، التفت حولها من كل جانب، ظلت «جانيت» تصرخ وحولها ولداها مايكل وبيتر وزوجها «جوزيف» يستغيثون لإنقاذ «جانيت».

رحنا نغترف من مياه البحر لإطفاء النيران التي اشتعلت فجأة ودون سابق إنذار والنار تتصاعد ومعها يتصاعد الصراخ، إلى عنان السماء ولا مجيب لصرخاتنا، ولا جدوى من ماء البحر الذي لا يستجيب

له الحريق.. ولا يستجيب هو لصرخات «جانيت» المسكينة فلقد كنا في عرض البحر، الدهشة تعقد ألسنتنا.. أسئلة كثيرة تقتحم دهشتنا وذهولنا من أين جاءت النيران ولم يشعلها أحد، ولم يكن هناك أية مادة قابلة للاشتعال أو حتى تساعد عليه. حاولنا إنقاذ «جانيت» لكن النار كانت أقوى منا جميعاً، التهمتها في دقائق وكأنها وحش جائع يشتاق إلى فريسة شهية وقد نال مأربه.

عندما وصلنا إلى الشاطيء، كانت النار قد أتت على «جانيت» دون أن يتبقى منها شيئ سوى فستانها الحريري الذي كانت ترتديه، وجزء من قدمها وحذائها، شعرنا بالرعب الشديد، كيف تلاشى جسد «جانيت» في دقائق ولم يبل فستانها، انصهر جسدها كله كشمعة احترقت دون دليل على وجودها، حتى العظام تلاشت وتبخرت، ولم يبقَ منها شيئ، ومن الغريب أن النار لم تنتقل إلينا بالرغم من أننا كنا جوارها، حتى ولداها «مايكل وبيتر» الملتصقان بها لم يتأثرا بالحريق، ولم تمس النار المكان الذي كانت تجلس فيه، حتى المغرفة الخشبية التي كانت تمسك بها لم تصب بسوء، تناثر الطعام هنا وهناك على بعد سنتميترات من جانيت. أصيبت السيدات بحالة هيستيرية من الصراخ والعويل المستمرين، وفوجئت بماهيتاب تسقط على الأرض فاقدة الوعي، كنا في حالة لا نحسد عليها، أصعب موقف واجهناه في حياتنا جميعاً.

اتصل دكتور «بسام» بعربة الإسعاف لتكون في انتظارنا عندما نصل إلى الشاطيء، وحاول سائق الباخرة أن يسيطر على أعصابه

المتوترة، وأطرافه المرتجفة حتى وصلنا إلى الشاطيء في حالة من الإنهيار التام.

كان كل همي أن أبحث عن عربة الإسعاف التي وجدتها في انتظارنا لكي أنقل فيها ماهيتاب.. فوجئنا على الشاطيء بحشد كبير من الصحفيين وكاميرات التليفزيون راحوا يتسابقون لنقل هذا الحادث الأليم، إلا أن قوات الشرطة حالت بيننا وبينهم حتى تتم المعاينة ويدلي الخبراء بدلوهم.

ظللنا ساعات طويلة في استجواب دائم عن ظروف وملابسات الحادث، وماذا شاهدنا وهل أشتعلت النيران بفعل فاعل عن طريق سيجار أو غيره، كان من الصعب بل من المستحيل إقناعهم أنه لم يكن هناك أي مصدر من مصادر النار، وفي النهاية انتهت التحقيقات لكنهم أخبرونا أنه سيتم استدعاؤنا مرة أخرى إذا احتاج الأمر لشهادتنا.

لم نستطع الإفلات من قبضة القنوات التليفزيونية، التي راحت تتلقفنا الواحد تلو الآخر، لتعرف المزيد عن هذا الحادث. ومما أثار انتباهي سؤال طرحته علينا المذيعة:

-لماذا لم يحترق سوى الدكتورة «جانيت»؟

لم أستطع أن أجيب عليها وهززت رأسي وأنا أفكر ترى لماذا هي بالذات؟

ما إن أنهى الدكتور «بسام» لقاءه حتى فوجيء بي أبادره بنفس الأسئلة التي طرحت علينا، فنظر لي ولم يجب إلا بتلك الإيماءة التي

أصدرتها رؤوسنا دون اتفاق وقد أسقط في أيدينا.

تحول اليوم الأسطوري إلى عزاء.. فقد اختفت جانيت من بيننا إلى الأبد.. كيف يمكننا أن ننسى ما رأيناه، وقد تحولت جانيت أمامنا إلى كرةِ نار ملتهبة.. شمس أشرقت فغابت دون أي سبب ظاهر لدينا، ولا يمكننا إنقاذها لقد كانت تتفجر منذ دقائق بالحيوية والنشاط وتلقي النكات وتوزع الضحكات، ثم صمت وسكون ورماد، كم هو قاسٍ أن تقف عاجزاً أمام إنسان يفقد حياته بين يديك ولا تستطيع أن تفعل شيئاً حتى مجرد درء الخطر عنه.

***

الفصل الرابع

خيم الحزن والتعاسة على دكتور «جوزيف»، الزوج الملتاع وسيطر الهلع على ولديه، وقد تحجرت الدموع في مقلتيهما، ونظرة مشدوهة يملؤها الخوف والرعب من كل شيء حلت مشاعر الألم والحسرة محل الفرحة التي كانت تملأ قلوبنا ونحن نستمتع برفقة «جانيت». وعدنا لا ندري أنعزي دكتور «جوزيف» أم نعزي أنفسنا على موت «جانيت» المفاجيء.

يستيقظ «دكتور «جوزيف» كل مساء، على صرخاتِ ولديه «مايكل» و«بيتر» ويظل طوال الليل يهديء من روعهما دون جدوى، حتى اضطر للذهاب بهما إلى طبيب نفسي لكي يتابع حالتيهما فالحادث بلا شك أليم ولا يمكن أن يمحى من الذاكرة.

لا أستطيع أن أنسى أن أسرة «جانيت» كانت معي في الرحلة ٥٣٩، ويبدو منذ الوهلة الأولى أن إحساسي كان صادقاً بخصوص تلك الرحلة العجيبة، وكأن هناك لعنة ستحط فوق الرؤوس.

من واقعِ مهنتي كصحفي، لم أكن أستطيع أن أقاوم رغبة البحث والإطلاع والتقصي في هذه الظاهرة الغريبة، وكيف تناولتها الصحف على أنه حريق غامض. راح البعض يؤكد أن هناك حوادث مشابهة لما حدث لجانيت جرت في أماكن مختلفة، اندلعت النيران من أجساد

الضحايا دون سابق إنذار ولم يعرف أحد حتى الآن سر هذا الاحتراق. حيث انطلقت من مكان لآخر، سعياً وراء الخبر كي أعرفَ المزيد، وأطلق بعض الصحفيين أن هذه الظاهرة، تحدث للسيدات دون الرجال بلا سبب واضح، مما ضاعف من قلق السيدات وخوفهن، ولم يستطعْ دكتور «بسام» أن يمر على الحادث كما مر بغيره، إلا أنه لا يملك دليلاً على اشتعالِ النيران مرة واحدة، دون وجود أي مادة تساعد على الإشتعال.

حاولت أن أستفسر عن بعض ما غمض علي من الدكتور «بسام» عن الوقت الكافي لانصهار الجسد البشري فراح يداعب خصلة تدلت على جبينه وهو يقول:

-ربما تندهش عندما تعرف أن عظامَ الإنسان تحتاج حوالي أربعة آلاف درجة مئوية، حتى تنصهر في مدة لا تقل عن اثنتي عشرة ساعة متواصلة، وبالرغم من ذلك لا ينصهر العظم عن آخره.

عقدت لساني الدهشة ولم أجد ما أعقب به عليه، فما حدث فوق احتمالات عقول البشر أن ينصهر الجسد البشري بعظامه، ويتحول إلى رماد في دقائق معدودة، شيء يفوق الوصف والخيال معاً. عادت تراودني نفس التساؤلات السابقة عن لعنة الرحلة، أسئلة كثيرة تتزاحم في رأسي ولا أجد لها جواباً.

كان من الصعب على العالم «بسام»، أن يقف عاجزاً عن تفسير ما حدث «لجانيت»، وراح يبحث كل الأسباب التي يمكن أن تكون لها علاقة بالحريق، ويسجل كل الحوادث المشابهة، من قريب أو بعيد لعله يصل لشيء، لكن للأسف لم يصل لنتيجة..

أثناء عودتي إلى الفندق حيث كان من المقرر لي الاتصال بإحدى وكالات الأنباء لكي أبلغهم بتفاصيل الحادث أبلغني موظف الإستقبال بالفندق أن شخصاً جاء وترك رسالة لي عندما فتحت الرسالة وشرعت في قراءتها انتفض قلبي، فالرسالة عبارة عن تحذير لي بعدم الاهتمام بهذا الحادث، وفي نهاية الرسالة تهديد بالقتل إذا قمت بإرسال أية معلومات حول الحادث إلى أية جهة، أسرعت إلى غرفة الدكتور «بسام»، ولدهشتي وجدته يخبرني بأنه تلقى تهديداً مماثلاً، ثم بادرني « قائلاً:

-من له المصلحة بعدم البحث في هذا الموضوع؟

لم يكن سؤاله مباغتاً لي، فلقد فركت رأسي فركاً، وقلبت كل الأمور على جميع أوجهها ورحت أجيبه سريعاً:

-لعله أحد الصحفيين يعمل بوكالة منافسة طاش به خياله وأراد أن يبادر بنشر الخبر قبل وكالتنا.

بينما راح الدكتور «بسام الشندويلي» يقول و قد شرد بذهنه بعيداً:

-عندما يتعلق الموضوع بالعالم «بسام الشندويلي»، وبهذا الحادث خاصة سيكون هناك العديد من الخطوط الحمراء والمسارات الغامضة الملتوية التي يجب أن نضعها نصب أعيننا، لأننا سنسلكها رغماً عنا.

*****

ذهبت أنا والدكتور «بسام» إلى المستشفى للاطمئنان على «ماهيتاب»، وقد طمأننا الطبيب المتابع لها أن حالتها قد استقرت الآن، عندما دخلنا غرفتها لفت نظري وجود رجلين ارتبت فيهما ولم أكن قد

رأيتهما من قبل، اصطدم بي أحدهما ثم أسرع الخطى.. لم أعط للأمر كثيراً من الاهتمام، وجدت «ماهيتاب» شاحبة ذابلة مضطربة بالرغم من أنها وضعت بعض لمسات من مساحيق التجميل إلا أنها لم تستطع أن تخفي آثار الصدمة على وجهها فقد غاضت الدماء من وجنتيها، وظهرت هالات سوداء تحت عينيها، حتى ذلك البريق الذي كان يتألق في مقلتيها اختفى وحل محله إحساس بالخوف والرهبة من المجهول، فلقد افتقدت شيئاً ما في حدقتيها.

دخل الدكتور « بسام» محيياً الجميع وقال لها:

-لقد تحسنت كثيراً عن ذي قبل، يجب أن تكوني قوية أمام المواقف الصعبة.

أجابته:

-أصعب موقف واجهته في حياتي يا دكتور « بسام»..

تحدثت بصوت تتحشرج فيه الكلمات غطت وجهها بكفيها وانفجرت باكية.. فقلت لها:

-لا داع للبكاء وكلنا حولك فلم الخوف؟

أجابتني من بين دموعها:

-لقد كانت «جانيت» الشرارة التي انطلقت في وجوهنا، وسوف تصيبنا حتماً، ما يحز في نفسي أننا كنا جميعاً حول «جانيت» ولم نفعل لها شيئاً، أخشى الموت محترقة بين لحظة وأخرى.

ألقمتني الصمت بكلماتها وحرت ماذا أقول لها، شعرت بضعفها وقلة حيلتها:

وقلت لها:

- لا تظني أن الجميع سيظل يفكر فيما حدث فالحياة مستمرة، ولكل أجل كتاب، وأنت ما زلت شابة وجميلة تتألق في عينيك وعلى شفتيك وفوق جبينك شمس الشروق اللدنة الناعمة، وكلما عصفت بك الحياة بأنوائها وأعاصيرها العاتية، فما عليك إلا أن تنظري إلى أفق الشروق فقد يكون أكثر جمالاً وجاذبية من شفق الغروب.

ابتسمت ومسحت دموعها وقالت:

-يبدو أنك متفاءل إلى حد بعيد يا أستاذ محمود وأنا في أشد الإحتياج لجرعة كبيرة من التفاؤل ويد تمنحني الأمل.

- سأمنحك جرعة من التفاؤل، على طبق من ذهب.

قالت لي:

- أنت قدري يا أستاذ محمود.

أجبتها:

-بالفعل.. فأمورنا معلقة في السماء وليست بيد أحد منا.

هزت رأسها في صمت وهدأت قسمات وجهها، وشعرت أن كلماتي قد ألهمتها بعض الأمان الذي تحتاج إليه. تعجبت من نفسي كيف أمنحها الأمان وأشعر بالخوف، ولا أستطيع إنكار مشاعري، وحالة الإنهيار التي أصابتنا جميعاً يوم ماتت «جانيت» محترقة بيننا، ولم نستطع أن نفعل لها شيئاً، يومها كنت في حالة من الإعياء والضعف لم أشعر بهما في حياتي.

استأذن «بسام» لأن لديه موعداً مهماً، وهممت بالإنصراف أنا

الآخر، لكني لمحت نظرة استعطاف في عينيها تتمسك بوجودي بجانبها، فتعللت أن لدي موعداً قرب المستشفى وسأجلس مع «ماهيتاب» حتى يحين الموعد. نظرت لي «ماهيتاب» وقالت:

-لو لم تبق معي لطلبت منك ذلك.

-شعرت أنك بحاجة للحديث.

-يعجبني فيك أنك فنان تحب الحياة وتقدر المشاعر، لكني لا أريد التحدث مع أحد سواك أريد التحدث إليك فحسب.

- أروع ما في الحب هو أنه قصيدة لا ندرك بدايتها ولا نهايتها، فهي تلهب دفعة واحدة كل قوى الإنسان، فالمحب يفكر في محبوبه بعقله، ويطلب الإندماج فيه بجسده. فقوى العقل والقلب والحس تشترك جميعاً في إبداع قصيدة الحياة، أما أنا فشطر في بيت من تلك القصيدة يبحث عن شطره الآخر.

خفضت رأسها وقد اندفعت الدماء إلى وجنتيها فازدادت تألقاً وأجابتني:

-أتمنى أن تجد شطرك الثاني لتكمل البيت الذي تنشده.

تناولت يدها في يدي وقلت لها:

-أشعر أني وجدت شطري الثاني.. قصيدتي على وشك أن تكتمل. فرحيل جانيت المفاجئ يدفعنا إلى أن نكون أكثر قربا..

- أبهذه السرعة؟

- لم يعد هناك وقت.. فلحظة واحدة بلا حب هي التعاسة ذاتها..

راح وجهها يشع حيوية ونضارة وتوسطت وجهها ابتسامة أكبر من

حدود العالم.. نظرت إلى جيدها الأسطواني فوجدت سلسلة رقيقة يتوسطها حجر نادر في لون زرقة عينيها الصافيتين، التي تشبه لون اللازورد وربما منحت السماء لونها من زرقة عينيها، ترتدي في إصبعها خاتماً يحمل نفس الفص الأزرق، تشعر أنها كالنهر الهاديء، وما إن تقترب منها وتنظر في عينيها تشعر أنك لا تجيد العوم في بحر هائج، وتحتاج لربان ماهر يستطيع أن يوجه دفة السفينة، ويتفادى في إبحاره الأمواج العالية الهائجة، حتى يروضها ويملك زمامها، فمن يدري بالأعماق سوى خالق الأعماق، ومن يستطيع تحمل ظلمتها والإبحار فيها. غير شخص ألف الظلمة وخبر البحر..

لا أدري ما الذي أصابني بمجرد رؤيتي لعينيها كأن لهما قدرة عجيبة على بث شعاع تغلغل داخل كياني، ربما قدرة الفص الأزرق الذي يمثل الحكمة على تهدئة النفس ورياضتها.. فاللازورد يثير العقل بدلاً من العواطف، يقال إن الحجر المتمم لمن يعشقون اللازورد هو العقيق الأزرق الذي يساعد العقل المرهق على الاسترخاء.

نسيت يدها في يدي وشعرت هي بذلك فسحبتها على الفور. عرضت عليها أن اصطحبها في نزهة بين ربوع مهسوري، فوافقت على الفور مرحبة وقالت لي:

-بالفعل كم أنا بحاجة إلى مثل هذه النزهة بعدما تعرضت له في الأيام الماضية من ضغوط عصبية..

سكتت قليلا ثم قالت:

- ليتك تأخذني إلى مقام «مهسوري» أشعر بالرغبة الشديدة إلى أن

أكون بجوارها.. يبدو أن شيئا ما يربطني بمهسوري.

***

ولدت يتيمة الوالدين، وحيدة في هذا العالم المترامي الأطراف، تشعر بالحزن الدفين والغموض في نظراتها ربما هذا الشيء يجرك جراً وراءها لتكتشف أسرار العيون الزرقاء، لجأت للرقص لتعول نفسها بعدما تخلى عنها الأهل والأصدقاء، ونهب الأعمام ميراثها فأصبح الرقص حياتها وشريكها الذي تبذل كل جهدها من أجله، وأنها قد تعرضت لمشاكل عديدة طيلة حياتها، فقد وجدت نفسي أتغلغل داخلها رغماً عني، وما أدهشني أنها لم تمانع، بل فتحت لي الباب على مصراعيه، مما شجعني أن أعرف عنها كل شيء.

وجدت نفسي أنا أيضا أبوح لها بسيرتي منذ لحظة ولادتي:

- هذه هي المرة الأولى التي أعرف فيها كل شيء عن إنسان في سويعات قلائل.

أجابتني على الفور:

-لا أخفي عليك أنا أيضاً، فلقد شعرت نفس الشعور عندما رأيتك.

- أشعر أن قوة خفية تربطني بك، ولا أملك أمامها سوى الخضوع طوعا وكرها..

ابتسمت بدل وقالت:

-لا أظن ذلك أبداً، أنت موهوب في أشياء كثيرة منذ ركبنا الطائرة وأنا ألمح مواهبك.

ابتسمت وقلت لها:

-هل يمكنني سؤالك عن حكايتك مع الحجر الأزرق؟

-بالطبع.. لكني لا أعرف عن نفسي الكثير.. فأنا أحبه وفقط منذ ولدت وأنا أحتفظ به، ولا أستطيع أن أعيش بدونه، لقد لفت نظري الآن لشيء هام هو أنني لا أقتني إلا الحجر الأزرق.

-هل تعرفين أنه حجر سهل الخدش، خفيف الوزن، ضعيف جداً، وتتخلله كسور محارية.

راحت تستطرد:

-نعم غير أنه معرض للإصابة بالشروخ لأن بعض خاماته شديدة المسامية فهو يشبهني تماماً، وهذا ما يجعلني أبتعد كثيراً عن الآخرين.

-ولكن يمكنك المحافظة على شكل الحجر عبر طبعه على مادة الراتينج الصمغية أو على الشمع، فهو ذو قيمة عالية مميزة بين المجوهرات.

راحت تنظر لي بدهشة وإعجاب شديدين وهي تقول:

- ومن يضمن لي أن أحافظ على نفسي، ولايوجد راتنج صمغي يحافظ علي من الخدوش والكسور فأنا شديدة الحساسية وأعشق هذا الحجر المسامي.

رفعت عينيها الزرقاوين ثم ردت بابتسامة أشبه بابتسامة الموناليزا:

-إلى هذا الحد أنت خبير بالأحجار الكريمة؟

ضحكت وأنا انظر في عينيها وقلت لها:

-عيناك علمتني فن الجوهر.. فهما أجمل من اللازورد، وبريقهما أشد لمعانا من الماس.

غضت طرفها وابتسمت في خجل:

-أنت جريء إلى هذا الحد؟

-لقد اكتسبت الجرأة من توهج عينيك.

سكت قليلا ثم أردفت:

-أتمنى ألا تكوني ممن يحبسون عواطفهم عن الغير، خشية أن يقبل عليهم بعواطفه.. فهؤلاء الناس لا يمكن أن يعرفوا السعادة..فالسعادة في خصوبة التبادل لا في عقم الإكتفاء.

أجابتني:

-ليس الأمر كما تراه من وجهة نظرك، لكنني لم أعتد أن أفتح قلبي على مصراعيه، إني قد عاهدته أن أترك له هذه المسألة كاملة ليقرر شريك حياته بمحض إرادته دون تدخل في أموره.

قلت:

-وأنا أيضا عاهدت قلبي على نفس العهد.

مدت يدها إلى:

-إذن اتفقنا.

***

الفصل الخامس

كنت سعيداً باعترافي «لماهيتاب» ، فلقد شعرت منذ رأيتها في الطائرة أن هناك شيئاً ما ربما ينشأ بيننا، أحسست أني أريد التحدث مع «بسام» حاولت الإتصال به دون جدوى أعدت محاولة الإتصال به كثيراً وفي كل مرة تأتيني رسالة مسجلة بأن هذا الرقم غير متاح الآن، راودني الشك والخوف عليه فلم يتعود على التأخير خارج الفندق حتى تلك الساعة من الليل، اتصلت «بماهيتاب» حتى أرجيء الموعد للغد.

ذهبت للفندق.. وإذا بي أجد هرجاً ومرجاً في صالة الإستقبال وحشداً من رجال الشرطة انتابني الذعر وعلى الفور تخيلت موقفاً تكرر في كل الأيام الماضية منذ وطأت قدمي أرض مهسوري واختنقت الآهات في حلقي بل ازدردت دموعي.. ترى هل حدث مكروه للدكتور «بسام»، ألن أراه ثانية؟

حاولت اختراق الحشد في بهو الفندق ودقات قلبي تعلو على الأصوات جميعاً، ولم يهديء من تلك الثورة بداخلي إلا بعض كلمات تسربت إلى أذني التقطها.. عرفت فيها صوته:

-هل تستطيع يا دكتور «بسام» وصف الرجال الذين قاموا بالاعتداء عليك؟

حمدت الله وفرقت الجمع لأصل إليه لأجد رأسه قد ضمدت بعصابة وبعض الخدوش بوجهه وتمزق حلته. وراح الدكتور «بسام» يقول:

-كنت عائداً لتوي من الخارج بعد يوم عمل شاق، وما أن أدرت مفتاح الحجرة في ثقب الباب سمعت صوتاً بالداخل، وحركة غيرعادية هممت بالتراجع للوراء عائداً للإستعانة بأفراد الأمن بالفندق إلا أن أحدهم عاجلني بضربة قوية على رأسي بآلة حادة كانت في يده فقدت على أثرها الوعي وعندما أفقت اكتشفت اختفاء حقيبتي وجوالي.

توجه له الضابط:

- هل هذه حقيبتك؟

تعرف عليها في الحال وأجاب وهو يتفحص أوراقه:

-أجل هي.. لكن كيف تم إنقاذ الحقيبة من أيديهم؟

تقدم أحد أفراد الحراسة بالفندق:

-لقد كنت أمر بالطابق الذي به غرفة الدكتور بسام عندما أبلغني موظف الإستقبال أن هناك شخصين صعدا إلى غرفته.. عندما صعدت وجدت الدكتور «بسام» مقبلاً نحوي حاولت أن أخبره بأمر هذين الرجلين اللذين ينتظرانه وقد كان الشك قد ساورني نحوهما وفي ثوان وجدتهما يصيبانه ويخطفان الحقيبة لكني أطلقت صفارات الإنذار بالفندق ففرا هاربين.

تحسس الدكتور «بسام» الجرح الذي برأسه وقال له:

- أشكركم جميعاً.

ثم توجه للضابط واستأذنه في الصعود إلى غرفته لكي يستريح

بعد ما حدث اليوم. صعدت مع الدكتور «بسام» وصعد معنا بعض رجال الأمن ليرابطوا أمام غرفته حتى الصباح وتم تشديد الرقابة والأمن على مدخل الفندق.

لم أنم تلك الليلة كنت أخشى أن يتكرر معي ما حدث للدكتور «بسام» علاوة على ذلك فقد تم تدمير جهاز الكمبيوتر الخاص به أكثر من مرة وتعرض للاختراق لكنه يؤكد لي دائماً أن أبحاثه في مأمن بعيدا عن أيدي العابثين. إن كانوا قد وصلوا للدكتور «بسام» فحتماً سيحاولون معي، خصوصاً أن التهديد كان مباشراً لكل منا، أدركت أنه لا مجال إلى النوم إلا بالأقراص المنومة.

في الصباح اتصلت بالدكتور «بسام» لأطمئن عليه ودعاني لغرفته، أخذ يعيد على مسامعي ما حدث معه البارحة.. طلبت منه أن يشرح لي أكثر عن أبحاثه وأهميتها ولماذا يطاردوننا. حاولت فهم كلمات دكتور «بسام» لكني شعرت أن حديثه يحمل من الغموض أكثر من التصريح، وراح يكمل كلامه دون أن يلحظ شرودي كانت شفتا «بسام الشندويلي» تتحركان دون أن أسمعهما، بينما عقلي يستحضر الأحداث ذاتها وكأنني كنت في موقعة حربية:

-أنت تعلم يا محمود أنني أعمل في مجال نادر، ولي اهتمامات بالقنبلة النووية، عمرها أكثر من عشرين سنة من العمل والكفاح المتواصل، لقد وصلت عبر أبحاث عديدة أن الرماد المتخلف من تلك الأجساد الآدمية، يمكن أن يستخدم في صنع قنابل من نوع خاص، يستخدم فيها رماد بشري، يكون هو الوقود ولن تكون ساعتها مضرة

بالبيئة، بل أنها ستعود بالنفع على سكان الأرض.. كم أنا مشتاق أن يكتمل هذا البحث ويخرج للنور، حتماً سيغير من وضع بلادنا كثيراً، وسيعملون لنا ساعتها ألف حساب.

كانت دهشتي بهذا البحث الجديد تفوق كل شيء إلا أنني قلت له:

-كيف ستفتك بالإنسان من أجله، هذه معادلة صعبة لا يمكنني فهمها، إنك تذكرني بالعالم «روبرت أوبنهايمر» الذي قام باختراع القنبلة النووية وبعد أن صنعها ندم على صنعها وقرر منح جائزة تحمل اسمه.. أنشكره على جائزته أم نلعن اختراعه ومازالت مأساة هيروشيما ونجازاكي عالقة بأذهاننا حتى اليوم.

أطرق الدكتور «بسام» وهو يردد:

- تتحدث وكأنني أنا الذي أقوم بحرق تلك الأجساد، أنا يا صديقي أستفيد من وجودها محترقة بالفعل، ألملم رمادها المتناثر بدلاً من بعثرته في الهواء دون فائدة، ستستخدم في أغراض الحرب، وبعدها ستكمل دورتها في الحياة فستستفيد منها الأرض في التخصيب، خصوصاً أنه قد ثبت من خلال الأبحاث التي قمت بها بعد تحليل كل من الرماد المتخلف عن اللبن وجسد الانسان المحترق، أن العناصر المعدنية في اللبن هى نفس العناصر الموجودة في رماد جسم الإنسان دون زيادة أو نقصان، والعالم اليوم يعج برماد أجساد البشر المحترقة والتي تذهب هباء وهذا يساعدنا على تصنيع قنابل ذرية دون مقابل، ستغير نتائج هذا البحث وجه الأرض وستصيب تجار الأسلحة في مقتل، وتحمينا من تهديدات بالنهاية الحتمية التي بتنا ننتظرها في

كل هجوم من تلك القوى، والتي نقف أمامها عاجزين نتيجة لعدم توفر الإمكانيات.

عدت أسأله من جديد:

-هل تظن أن هذه القوى ستتركنا ننعم بهذا الإختراع.

أجابني:

-من قال هذا.. إنهم الآن يحاولون الفتك بي، ولن يهدأ لهم بال حتى يحصلوا على سر هذا الإختراع.

رحت أدور حوله وأنا أتساءل:

- إنني لم أعد أفهم شيئاً على الإطلاق.. نحزن على موتانا ونزرف الدموع من أجلهم ثم نلملم بقايا أجسادهم ونحولها لرماد نستخدمه في الفتك بالبشر.. اليد التي تضمد الجراح هي نفس اليد التي تطعن بالخنجر وتضغط على الزناد وتحرق وتبيد.. يد تبني ويد تهد.. ندمر العالم ثم نسعى إلى إصلاحه؟

أجاب «بسام»:

- أنا كعالم على أن أستفيد من كل شيء حولي.

- تستفيد أنت وتخسر البشرية بأسرها.

-بالعكس أنا أفيد البشرية.

-إفادة البشرية بالسلام لا بالحرب، وأنت تسعى لتصنيع قنابل من رماد بشري لتدمير آخرين، ومن ناحية أخرى هل سألت الشخص المحترق إن كان يرضى أن يستخدم جسده في عمل كهذا أم لا؟

أجابني:

-لن يضير الشاة سلخها بعد ذبحها.

ضحكت في مرارة:

- ما أتعس إنسان اليوم.. فقد أصبح شاة تذبح وتسلخ إن لم تمت محترقة، يطمع الجميع لا في دمائها فحسب بل في رمادها أيضاً..

راح يربت على كتفي مهدئا:

- هون عليك يا صديقي لا تبك على اللبن المسكوب بقدر سعادتك بما احتفظت به منه..

دفعت يده بعيدا وأنا أصيح بعصبية:

-ألم تفكر في أنه سيسعى أصحاب المصلحة من تجار الأسلحة والتدمير، لحرق البشر جميعاً لتصنيع قنابلهم بأبخس الأثمان، ألا يكفي بيع الأعضاء والإتجار بالبشر، لقد هان الإنسان فصار كفئران التجارب، تارة يبيعونه وأخرى يتاجرون بأعضائه ثم حرقه، ألم يكن من الأفضل أن نفكر كيف نزيد الرقعة الخضراء بين ربوع الأرض، أنت تسعى للفتك بالجنس البشري يا دكتور إنها مؤامرة على بني الإنسان.

أجابني «بسام»:

- لكل منا رؤيته ووجهة نظره.. فإذا كان هدفك يا محمود منصب على المشاعر الإنسانية وحدود الإنسان.. فأنا أتطلع إلى ما هو أكثر من ذلك.. البشرية كلها.. الضعفاء في هذا العالم.. فهم يعدون لك أسلحة من ذرات ونويات وأنا أعد لهم أسلحة من بشر.. أرجو أن تظل صداقتنا كما هي حتى لو اختلفنا في وجهات النظر..

يسكت «بسام» قليلاً ثم يقول:

– نستأنف الحديث فيما بعد، فربما تفهم الأمر على حقيقته. اذهب حالاً وتناول كأساً من الينسون الدافيء وانعم بنوم هاديء، فأنت تحتاج لقسط من الراحة، وافرغ رأسك من كل شيء.

الفصل السادس

هل يمكن أن يكون كل ما جرى من أحداث مجرد حلم، كوابيس، أضغاث أحلام وقد أوشك أن يستيقظ منها، هل ما زال بمنزله بالقاهرة ولم يتعرف بعد على ما هيتاب وجانيت ، هل كل هذه الأفكار كانت مختزنة في عقله وقد حان الوقت لطردها، هل ما زالت جانيت على قيد الحياة وهي تملأ الدنيا بضحكاتها الحلوة وتداعب غلاميها البريئين «بيتر» و «مايكل» وتراقص زوجها المفتون «جوزيف» وتعرض عليه أن يسابقها وتسابقه؟

أجل إنه يسمع صوتها خارج الغرفة.. هاهي تناديه باسمه دون ألقاب كما تعود منها:

-محمود هيا بنا نتسابق على شاطيء نهر المنكروف.

لم أصدق ما سمعته.. واندفعت نحو الباب فتحته مسرعا كانت هي بالفعل جانيت بوجهها الصبوح المتلألأ الطفلة الكبيرة صرخت:

-جانيت أنت...

-محمود ما لك تحملق في هكذا الجميع ينتظروننا

وانطلقت بجسدها الرشيق وأنا خلفها مدهوشاً.

كانت جانيت تضحك وترقص وتغني دفعة واحدة، وزوجها يحيطها بذراعيه وولديها بيتر ومايكل ممسكان يديها أما أنا فكنت أنظر إليها

كشمس أشرقت لتوها وأخشى أن تغيب، لم أر غيرها حتى ماهيتاب لم تقع عينى عليها مرة واحدة بالرغم من وجودها، رحت أدور حولها بقوة كقمر وقع في أسر نجم قوي فقبض عليه في مداره، لم أدر بقدمي وهما تتحركان بسرعة رهيبة حتى كادت تنطلقا بي في الفضاء، ولا بالدموع المنسابة من عيني، ولا بالعرق الغزير الذي تصبب على جسدي، ونشع من ملابسي، ولا الحرارة التي كانت تنبعث مني، ولم أدر لها تفسيراً وكأن خلاياي كلها تتأجج، لتشب ناراً أمسكت بجسدي، رحت أصرخ من شدة الألم والجميع ينظرون لي من هول المفاجأة إلا جانيت التي أسرعت بسكب كميات كبيرة من الماء علي.. لكن النار لم تهدأ ولم تخمد.. ظللت أصرخ بشدة حتى استيقظت من نومي لأجد نفسي على فراشي وداخل حجرتي بالفندق. لم يكن إلا حلماً ومع ذلك ما زال جلدي يتألم من فرط الحريق.

لم يكد يمر أسبوع على رحيل «جانيت»، إلا وقد كان كل شيء ينطق بالحزن، عندما ذهبت إلى الدكتور جوزيف وولديه بيتر ومايكل لأسري عنهم لم أستطع احتمال بؤسهم وحزنهم الشديد بعد اختفاء جانيت وبدلا من أسري عنهم كنت بحاجة لمن يسري عني خصوصاً عندما بكى دكتور» جوزيف» وقال:

-انحنت أشجار الكازورينا العملاقة، بدت أوراقها ذابلة تبكي من كانت ترعاها، أصبحنا أغصانا جرداء سقطت عنها أوراقها الخضراء اليانعة، وباتت في العراء دون مصد. الأطفال الصغار الذين كانوا يترددون على عيادتها، لا يصدقون موتها ويصرون على السؤال عنها بل ينتظرونها ويأبون الرحيل ويرفضون الذهاب لأي طبيب آخر حتى تأتي وتداويهم من جديد.

ربت على كتفه، وشددت على يديه قائلاً:

-لو كان بأيدينا أن نحتفظ بمن نحب إلى الأبد، ما استمرت الحياة، فالحياة تفرض علينا أشياء رغم إرادتنا وما علينا إلا التسليم والرضوخ طواعية.

راح يردد في أسى وهو يهز رأسه:

-هكذا هي الحياة على قدر ما تعطينا على قدر ما تأخذ منا.

بات «جوزيف» وولداه يترددون على الكنيسة باستمرار، يتلقون الدعم النفسي والروحي، كما كانت توصيهم «جانيت» دائماً، وبينما كان الأب «بطرس» يقدم عظته الأولى في الكاتدرائية، وقبل أن يقوم بالصلاة بدأ يعظ، وبعد بداية عظته بقليل فوجيء الحاضرون بدخول شئ أشبه بكرة قدم سوداء، من نافذة الكنيسة حامت على امتداد الحائط فى جانب منبر الوعظ، ثم بدت فجأة وكأنها تتبدد، صاحب ذلك صوت لا يقل فى قوته عن انفجار قذيفة، وتبع ذلك عاصفة عنيفة من البرق والرعد، وسأل الجميع هل الأب «بطرس» كان ضمن ركاب الرحلة الغامضة؟.. وجاءت الإجابة محيرة للغاية إنه من سكان البلدة نفسها، وعندما كان يغادر المدينة لأخرى كان يرتاد القطار أو الأتوبيس فهو لا يخشى شيئاً مثلما يخشى ركوب الطائرة، إذن حدثتني نفسي أنه لا توجد لعنة لركاب الرحلة ٥٣٩، راودني الأمل مرة أخرى فما زالت هناك فرصة للنجاة.

جمعنا مساء أنا ودكتور «بسام» على شاطيء البحر، كنا عائدين إلى المنزل بعد جولة على الأقدام عند الممشى الأسمنتي الطويل، قرب نهر المنكروف حيث كان النسيم لطيفاً حاولنا أن نجد تفسيراً لتلك الظاهرة الغامضة، وأثناء محادثتنا معاً، لفت نظرنا ضوء شارد آت من السماء،

وسرعان ما اكتشفنا أنه ليس بضوء، وإنما تحول لكرة حجمها بين كرة التنس وكرة القدم، تتبعنا بأنظارنا الكرة التي عبرت المشى، وبسرعة شديدة اختفت ناحية أحد المقاهي.

عاودني قلق الرحلة الغامضة، وسرعان ما ذهبنا إلى المقهى، لنعرف ماذا حدث كان بيننا وبينها ربما مائة متر قطعناها سعيا وراء الحقيقة، عندما وصلنا لم نكد نلتقط أنفاسنا اللاهثة، حيث وجدنا هرجاً ومرجاً، والمقهى مزدحماً بالزبائن وأكدوا لنا أنهم سمعوا أصوات طرقعة مخيفة، أخذت تتزايد مع الوقت، وقد استحال مطبخ المقهى إلى وهج لامع.

كانت «فيفيان» صاحبة المقهى تجلس بداخله وهي تقوم بتجهيز الطعام للزبائن، وراحت تؤكد لنا أنها لم ترَ ضوءاً كهذا طوال حياتها، وعرفنا أنها كانت ضمن ركاب الرحلة الغامضة ٥٣٩، وراحت «فيفيان» تكمل حديثها:

-لقد رأيت الناس من نافذة المطبخ يفرون من الشاطيء، وهم يصيحون ويصرخون وقد تزايد ارتفاع صوت الانفجار، ثم وقعت فرقعة ضخمة شملت المكان بأسره، على أثرها خرج زبائن المقهى يركضون ومن بينهم صاحب الساق الخشبية، الذي يجلس دائماً إلى المائدة الملاصقة لمنصة الخدمة، وعندما عدت للمطبخ، وجدت أن الغطاء الحديدي السميك للفرن، الذي في المطبخ مشقوق من أوله لآخره.

راحت «مرام» ابنة «فيفيان» صاحبة المقهى تكمل لنا:

-كنت فى زيارة للمقهى عندما حدثت الواقعة، وقد تركت ابني الصغير خارج المبنى داخل عربته، وعندما ارتفع الضجيج أكثر فأكثر، أسرعت مندفعة لإنقاذه فشاهدت كرة النار، كانت ذات لون برتقالى براق فى الوسط، وفى خارجها كان الضوء أبيض خالصاً، وقد أخذت تتدحرج على

امتداد حائط المقهى، اقتربت من النافذة. وقفت فى مكانى أتأمل ذلك الشئ، الذي سرعان ما ترك النافذة واندفع نحوى مصطدماً بصدرى ثم اختفى.

انضمت إلينا السيدة «لولا» إحدى رواد المقهى راحت تكمل لنا:

-على مسافة من هنا، كنت أقوم بالنزهة اليومية لكلبي، فجأة سمعت اصطكاك رعدي هائل، وصلت إلى سمعى صرخات قادمة من الجانب الآخر، رأيت الأطفال يركضون وراء تلك الكرة التى يصدر عنها الأزيز، وجدتها قادمة نحوى تسحب وراءها ذلك الذيل الطويل، الذى يشبه الشريط النحاسى والذى يصل عرضه الى بوصتين أو ثلاث بوصات، وانطلقت كالبرق الخاطف.

ذعر الكلبان بينما رحت أراقب ذلك الشئ وهو يبتعد مسرعاً، مصدراً فحيحاً كفحيح الأفاعي، وهي تزحف فيحتك جلدها بالأرض، فيصدر عنها ذلك الصوت المخيف، علاوة على ذلك الطنين الذي يسبق هبوب العاصفة، ويصاحب فحيحها ويتجه الى البحر مباشرة زادت حيرة العالم «بسام الشندويلي»، ولم أكن بطبيعة الحال أقل منه خوفاً وحيرة، خصوصاً أنني لا أعرف ماذا سيحدث لي وأنا ضمن أفراد الرحلة ٥٣٩ العجيبة، التي يكتنفها الغموض وتتصيد المصائب أفراد طاقمها واحداً تلو الآخر، أو هكذا سيطر علي ذلك الإحساس اللعين بخوف من المجهول الذي ينتظرني أنا ومن معي على متن الطائرة.

***

الفصل السابع

رقصت الضحكات المرحة على الشفاه المخضبة بالحمرة، في دعوة تثير شبق المفتونين، خصلات الشعر المتناثرة تراقص الهواء وتعلن عن تمردها، برقصات أفعوانية تمثل الخطر اللذيذ.. كلما مالت بجسدها اللدن.. مالت معها قلوب الجائعين النهمة، و أيقظت كوامنهم رائحة العطر الأنثوي الفواح وقد اختلطت بالكحول، على إيقاع الموسيقى الصاخبة التي راحت تعزف ثلاثية الغريزة والغواية والموت، فباتوا في عالم أسطوري ليس له وجود في الواقع الحزين.

راحت تنثني.. تتلوى.. تتطاير في الهواء، تارة تجذبها للأمام فتزيد وجهها تألقاً، وتارة تتركها للخلف فتزيد حسنها، وثالثة تمسكه بكلتا يديها وترفعه لأعلى كاشفة عن فتنتها فتزيدها إغراء، لفتات في سرعة البرق.. إيماءات موحية رشيقة، تلعب على حبال الغواية والموت.

تتوحد مع تضاريس جسدها اللولبي، ترفع ذراعيها إلى أعلى ثم إنزالهما بإنحناءة تدريجية تشبه تلوي الأفعى، بإثارة وإيحاء وإغواء، تحت الأضواء العاكسة التي تعكس ألوان بدلة الرقص الحمراء بخيوطها الذهبية، والتي تظهر مفاتنها وجسدها الوردي الذي يشع نوراً فيتألق مع اللون الأحمر الذي ترتديه، وناراً تلهب قلوب المحرومين.

وكأن قرص الشمس الذهبي آثر الإختفاء صباح اليوم ليمنحها فرصة عزيزة المنال، ويهبط تحت قدميها فتتألق بشكل مثير للغاية، يكاد يذهب بعقول الرجال حتى النساء أنفسهن جلسن مترقبات كل حركة من حركاتها، وفي عيونهن نظرة حسد وغيرة من تلك التي تملك ذلك الجسد البض الفاتن، والتي تجيد حركات وفنون تجذب قلوب وعيون أزواجهن التي خرجت من محاجرها..

جئت تلبية لدعوة «ماهيتاب» وتهنئة لها بافتتاح أكبر صالة رقص في مهسوري، جلست في الصف الثاني أشرت لها محيياً بيدي فحيتني هي بإبتسامتها البراقة وإيماءة من رأسها، كنت على استعداد للذهاب معها لآخر العالم، فلقد افتتنت بها وتمنيت اللحظة التي أخلو إليها لأعبر لها عما يجيش بنفسي تجاهها.

لفت نظري رجلان يجلسان في الصف الأمامي، يبدو أنني أعرفهما ربما رأيتهما قبل الآن ولكن لا أدري أين بالتحديد. أفسدا علي شعوري.. تغيرت كيماء جسدي ولم أعد أفكر بشيء سوى أين رأيتهما قبل الآن.

رحت أشاهد «ماهي» وهي تتألق على خشبة المسرح، والعيون تتطلع إليها في حسرة ويحسدان ذلك الرجل الذي تكون هذه الأنثى من نصيبه، حاولت أن أبعد عن رأسي هذا السؤال لكنني وجدته يلح علي إلحاحا شديداً زادت شكوكي عندما وجدتهما يدسان بورقة صغيرة في يديها بعد أن أنهت رقصتها وجاءت تحيي الحضور، وأسرعت بوضعها في حقيبة يدها وقد زاد ارتباكها عندما لاحظت أني رأيتها.

مددت لها يداً باردة وسحنة مقلوبة، حاولت أن أبدو طبيعيا لكني

لم أستطع، ترى ما علاقتها بهذين الرجلين، لقد تذكرتهما.. هذان الرجلان زاراها في المستشفى بعد حادث جانيت. أحدهما بالفعل قد صدمني بكتفه ومضى دون أن يعتذر.. حاولت أن تبدو طبيعية معي كأن شيئا لم يكن راحت تقول:

-الناس تقول مبروك في هذه المناسبات.

قلت لها بصوت حاد:

-مبروك.

ضحكت وقالت:

-هذا نطق بحكم الإعدام، من الأفضل ألا تقول شيئاً.

على الفور سألتها:

-هل تعرفينهما؟

اضطربت وارتعشت أناملها وقبضت على حقيبتها وقالت بصوت مرتعش:

-تقصد من؟

-هذان الرجلان؟

-معرفة سطحية.

لمحت الدكتور «بسام» يدلف من الباب وكنا نستعد للخروج.. راح يبرر تأخره عن حفل الإفتتاح:

- معذرة لم أنته من عملي سوى الآن، كنت أتمنى أن أرى الحفل منذ بدايته.

راحت تقول:

-لا عليك يا دكتور «بسام» المهم أنك أتيت هيا بنا لنقضي السهرة

في أفخم مطاعم مهسوري والسهرة اليوم على نفقتي الخاصة.

لاحظ دكتور بسام صمتي وتجهم وجهي فقال لي:

-ماذا بك يا محمود هل أنت متعب؟

أجبته:

-نعم فلم أنم ليلة البارحة ولم استرح طيلة اليوم.

-حاول أن تأخذ قسطا كافيا اليوم.

هززت رأسي بالموافقة، كنت أود أن أصارحه بما رأيته لعله يستطيع تفسير ما حدث لكني لم أفعل.

في هذه الليلة شعرت بالثورة على «ماهيتاب» يبدو أنني تسرعت في علاقتي بها ماذا يدور في الخفاء هل تجمعها علاقة ما بأحد الرجلين، هناك سر ما لا أعرفه ويجب أن أصل إليه.

غيرت «ماهيتاب» دفة الحديث لأول مرة وجدتها تتحدث مع الدكتور «بسام» عن آخر أبحاثه:

اندهش دكتور بسام وقال لها:

-هل ستغيرين مجالك يا ماهي أم ماذا؟

ضحكت وقالت:

-ربما لو أعجبني الحال ستلمس تغييرا في العلم، ولتخش على نفسك منذ الآن يا دكتور «بسام».

ضحك «بسام» واعتبر الأمر مجرد مزحة، كان طلبها غريباً فما لها وعالم الأبحاث والعلم، ماذا تفهم هي عن «بسام الشندويلي» وأبحاثه..

لاحظ دكتور بسام شرودي وصمتي فقال لي:

-حالتك تستدعي النوم حالاً هيا ننصرف معاً إلى الفندق.

لم أمانع نهضت واقفاً، وقد رسم تصرفي هذا علامة استفهام كبيرة على وجه دكتور بسام وماهيتاب ولكنها قالت لي:

-أتمنى أن تكون أفضل في الغد.

مالت « ماهيتاب» وهمست في أذن «بسام» بكلمات لم أسمعها وأعقبتها بضحكة رنانة.

انصرفنا أنا والدكتور «بسام» ووجدته يقول لي:

-هيا قل ما عندك ودعك من موضوع عدم النوم؟

قلت له:

-كيف عرفت؟

ضحك وهو يجيبني:

-لقد أصبحت أعرفك أكثر من نفسي يا محمود، هل هو موضوع خاص بماهيتاب..

هززت رأسي بالموافقة.

- هل يمكنني أن أعرف أم الموضوع فيه حرج لك؟

-لا على الإطلاق لكنه موضوع أقل من أن يشغل وقتك وتفكيرك..

شعر دكتور «بسام» بعدم رغبتي في البوح له فقال لي:

-أحترم وجهة نظرك يا محمود وعندما تحتاجني تعال إلى غرفتي بلا تردد وقل ما عندك.

كنا قد وصلنا للفندق.. تركني دكتور «بسام» وتمنى لي أحلاما سعيدة.. وذكرني بلقائي معه في الغد.

***

الفصل الثامن

تتوالى المشاهدات والتصريحات، من أناسٍ شاهدوا الظاهرة فهاهى سيدة في منتصف العمرِ تأتي إلى دكتورِ «بسام» في معمله الإليكتروني، وتطلب مقابلته مصرةً أن تروي له ما حدث معها..

كانت الكرة في حجم كرة السلة، مضت تتدحرج على أرضيةِ الساحة، لم يكن معي أحد في المنزل شعرت بخوفٍ شديد، لكن تصادف وقتها أني كنت ممسكة بمضربِ الذباب في يدي، فاستجمعت قوتي وضربتها لتنفجر الكرة مخلفة رائحة تشبه رائحة الكبريت النفاذة.

انصرفت السيدة ولم يكف دكتور «بسام» عن العملِ والتفكير، خاصةً أنه في اليوم التالي عندما ذهب للمعملِ الإليكتروني وجد شيئاً هاله، ثغرة فى زجاج إحدى النوافذ بالمبنى فى أعقابِ عاصفةٍ قويةٍ داهمت المدينة بالأمس، راح العلماء والمتخصصون يعاينون المكانَ من الخارج والداخل، ولما كان زجاج النافذة قابلاً للانصهار، فقد أرجعوا هذه الثغرة المستديرة الى كرةِ برقٍ، وعندما ذاع موضوع كرات البرق وأرجعوا كل الظواهر السابقة إليها قلت لدكتور «بسام»:

– لقد أمكن تصوير كرات البرق مرات عديدة.

أجابني:

-نعم بالفعل.. وهذا ما يؤرقني، ويجعلني لا أجزم به، لأن العلماء يتشككون عادة فى مثل هذا الدليل، على إعتبار أنه بإمكان أى محترف أن يستغل ظواهر ضوئية أخرى و يسجلها زاعماً أنها لكرات البرق.

لم أكن على طبيعتي مع «بسام» وكان هو يشعر ببعض التحفظ في معاملتي له، رغم أنه كان يعاملني كصديق حميم ، لهذا صارحته بشكوكي..

كان على أن أمسك بخيوط الظاهرة في يدي، وهذا يترتب عليه أن أعود لكل ما حدث منذ بداية الرحلة، وخطر لي خاطر عرضته على الدكتور «بسام» فوافق عليه في الحال، ذهبت لشركة الطيران التي كانت تتبعها الرحلة ٥٣٩ وحصلت على قائمة بأسماء الركاب، كانت المهمة التي فكرت بها أن نتابع كل الركاب، الذين تواجدوا على متنِ الطائرةِ يومها والذين تعرضوا جميعاً لكرة البرق، وماذا حدث لهم.

وجدت نفسي أسير تبعاً لكشف الأسماء، وكان من الطبيعي أن أغفل كل الأسماء التي لم تنج من الاحتراق. تتبعت السيدة «جمانة سيف» وابنتها «داليا»، سألت عنهما لأجدهما بإحدى مستشفيات مهسوري، تملكني الرعب وما أن ذهبت إلى هناك أنا ودكتور «بسام الشندويلي» حتى سألنا عن الحالة في قسم الإستعلامات، وعرفنا أن المريضة كانت «داليا» الصغيرة جاءت على أثر تقلصات شديدة في بطنها، وأنها الآن في حالة جيدة ومستقرة.

توجهنا على الفور إلى الغرفة رقم تسعة وثلاثين، وقبل أن ندخل وجدنا تجمعاً غفيراً أمام الغرفة وسمعنا صراخا شديدا، وما لايقل

عن اثنى عشر طبيباً غير الممرضات والعاملين، الجميع يحاولون إنقاذ الطفلة الصغيرة، ويبذلون كل جهد لإبعاد الصغيرة عن الأم دون جدوى تحولت «داليا» الصغيرة إلى كرةٍ من النار، وقد لفت بسياجٍ من لهبٍ أزرق، كنا نشعر بحرارتِها في المكان، كأنها أتون مستعر، صرخات الأمِ تقطع نياط القلوب كمن أصابها مس شيطاني، وتحولت الصغيرة إلى ذرات من الرماد في دقائق معدودة أمام أعين الجميع وسط صرخات الأم.. الغريب أن الأم لم تصب بأية حروق، رغم أنها كانت ملتصقة بطفلتها، لم تتوقف الأم عن الصراخ حتى سقطت مغشياً عليها وسط ذرات رماد «داليا»، فاختلطت دموعها بذراتِ رمادِ الصغيرة لعلها تشعر بلوعةِ الأم المكلومة، وترد لها روحها لكن دون جدوى.

لم يملك الأَطباء إلا إعطاء الأم حقنة مهدئة، وظللنا وسط دهشتنا لا نستطيع التحدث أو التعليق، وعلى الفور انتشرت لجنة التحقيق تباشر عملها، و كل ما أمكنها التوصل إليه أن الحرارة التي احترقت بفعلها الصغيرة وصلت لأكثر من ألف وخمسمائة درجة مئوية، وانضمت «داليا» إلى تلك القائمة التي حكم عليهاِ بالاحتراق و لعنة الرحلة ٥٣٩.

عدنا أدراجنا نرتدي خيبة الأمل التي تزفنا وراء كل حادث، ونحن نضرب أخماساً في أسداس، وتلقى على مسامعنا نفس التساؤلات، ونفس الإجابات دون أن نصل لحل، أو نفهم ما يشفي غليلنا.

تابعنا حالة السيدة «جمانة»، التي لم تكد تفيق حتى تطلق صرخاتها المكلومة وآهاتها المكتومة في كل مكان، وكأنها تأتي بها من أعماق الأرض، ليستيقظ كل الموتى ويهبوا من رقادهم لإنقاذ الطفلة

الصغيرة التي لا ذنب لها إلا أنها سيقت إلى الوجود، وخرجت منه مرغمة.

راحت الأم الثكلى تنتف شعرها، وتنهش بأظافرها في وجهها، لا.. إنه وجه الموت، وجه الردى الذي خطف وحيدتها لينزف دماً كما يدمي قلبها، لم يستطع الأطباء خلال ساعات قليلة، أن يسكتوا آلامها أو يفقدوها وعيها، فقلبها عاجز عن تحمل الصدمة، وعقلها رافض لما رأته بعينيها.

ظلت «جمانة» تصرخ حتى تحول صراخها لصمت مطبق، وتلاشى كما تلاشت الصغيرة من العالم، ولم يتبق منها سوى مجرد ذرات تذروها الرياح، أو ربما يلحق بها دكتور «بسام» في قنبلته المصنوعة من الرماد ليفجر الرماد ناراً يوقظ بها قلوب النائمين، ويلين بها قلوب العتاة الظالمين، فما أقسى نيران الحق عندما تقف في وجه الباطل، قد يظنها خامدة هامدة، لكنها تموج بالثورة والثأر لكل من ذهبوا ولم يقتص لهم، فهل يأمن جانب الرماد؟.

***

الفصل التاسع

شغلتني طوال الوقت تلك العلاقة فرحت أفكر فيها بدأب، علاقة جمعت بين كرات البرق التي شاهدناها جميعاً، على متن الطائرة في الرحلة ٥٣٩ الغامضة، وبين إصابة كل من تواجد على ظهر الطائرة، حتى وإن نجا بعضهم حتى الآن، لكني لم أصل لنتيجة وربما تكون مجرد صدفة بحتة، أعود لأسائل نفسي هل يمكن أن تتكرر الصدفة بهذا الشكل ولا أجد جواباً يشفي غليلي.

منذ قابلت السيدة «فيفيان» صاحبة المقهى، وهى تقص علينا أنا ودكتور «بسام» ما رأته في مقهاها، وفرار جميع رواده في حالة عصبية سيئة، يلح علي شعور قوي أن أعرف قصة هذا الرجل صاحب الساق الخشبية.

أصبحت أتردد يومياً على المقهى، ومن الغريب أن ذلك الرجل كان يجلس دائماً ساهماً شارداً تعلو جبهته تقطيبة تنم عن حزنٍ دفين حفر ملامحه في وجهه.

أخبرتني «فيفيان» أنه أصيب بحالة من الإغماء، عند رؤيته لكرة النار، ولم يدر ما حدث بعدها إلا ممن حوله، ولكنه كان أمراً طبيعياً فلقد شعر الجميع بالذعرِ الشديد. وجدته يجلس كعادته مهموماً،

عندما اقتربت منه نظر لي بتوجسٍ فقلت له:

- هل يمكنني الجلوس إليك؟

راح ينظر لي من وراء نظارته بتردد، يحاول أن يقرأ معالم وتفصيلات وجهي إلا أنه نطق أخيراً:

- بالطبع.

عدت أسأله من جديد:

- وجهك ليس غريباً عني، هل تقابلنا من قبل؟

رفع الرجل وجهه وعاد يتفرس في وجهي من جديد، ويحاول أن يعصر ذاكرته، قطعت عليه أفكاره:

- هل كنت ضمن ركاب الرحلة ٥٣٩؟

انتفض الرجل كمن لدغته حية، وهو يقول بأسى وقد تغيرت نبرته:

- بالفعل، ولكن لم يكن حالي كما هو عليه الآن..

- كيف؟

نظر إلى ساقه الخشبية بحزنٍ شديد، ثم عاد ليكمل كلامه وقد أطلق تنهيدة عميقة كدت أطير مع زفراتها، أتذكر تلك الكرة التي ظهرت في الطائرة؟ وما حدث من هرج ومرج ؟

-نعم.. أذكره جيداً.

- إنها سبب مأساتي.

وبلهفة رحت أسأله وقد شعرت أنني قد اقتربت من حل اللغز:

- كيف؟

- لقد حدث بعد وصولي لهذه المدينة شيء غريب، كنت قد خرجت

في رحلة خاصة بالعمل، وأثناء عودتي عندما نظرت إلى ساقي وجدتها مضيئة، وكأن بداخلها إضاءة قوية، كانت ساقي أشبه ببلورة زجاجية تكشف عما بداخلها، وكأنها قد صنعت من الكريستال النقي، أرى النيران التي تستعر بداخلها وكأني أشاهدها على شاشة إلكترونية، وما هي إلا ثوان معدودة، وقد اشتعلت النيران بنصفي الأسفل، وبالتحديد في ساقي اليمنى.

شعرت بتوهج داخلي وإحساس مخيف للغاية، حاولت بكل الطرق إبعادها دون جدوى، وفجأة وقعت على الأرض، لا أدري ما الذي دفعني أن أربت على هذا المكان المتوهج من جسدي، والذي يزداد توهجه كجمرة متقدة، ربما تصرف تلقائي أو قل أنه حب الحياة والسعي وراءها لآخر رمق، لأجد أن النار بدأت تخبو شيئاً فشيئاً، حتى خمدت النيران بساقي، لكن يبدو أنها كانت جائعة فالتهمتها ولم يتبق منها سوى أطلال وأصبحت منذ ذلك اليوم بساق خشبية، أنعي حظي المشئوم، ألعن ذلك اليوم الذي ارتدت فيه تلك الطائرة والرحلة الملعونة.

ربت على كتفه مهوناً، وقلت له:

-هل تعلم أنك شخص فريد من نوعك تتمتع بحظ عالٍ.

نظر لي الرجل مشدوهاً كأنني أبله وقال:

-كيف أكون محظوظاً بعدما فقدت ساقي في حادث غامض لا يحدث لأي فرد في العالم، وعندما أرويه لأحد يظن أنه قد مسني الجنون وأهذي بخرافات، إنه ضرب من اللامعقول.

أجبته:

-أنت أول شاهد عيان ناج من كرات النار في العالم، لقد وصلت تلك الحالات حوالي مائتي وخمسين حالة أنت الناج الوحيد أقصد أنت أول من ينج بعد عدد من الحوادث المماثلة الذي يمكننا من الوقوف على حقيقة الأمر، هل فقدانك لساق واحدة أفضل أم فقدانك للحياة بأسرها.

أجابني وفي صوته نبرة تلوم وتعاتب الزمن وتنعي حظه العاثر:

-وكيف لي أعيش بساق واحدة؟

-منحك الله أخرى يمكنك أن تسير بها في طرق كثيرة للخير، لتسعد نفسك وغيرك، ومن يدريك لعل ما حدث حجب عنك ما هو أسوأ.

هز رأسه بسخرية بين مستسلم ورافض عاد يسألني:

-هل تظن أن هناك علاقة بين ما حدث في الطائرة وفقدان ساقي؟

شعرت بالحيرة ولم أحر جواباً..

لكني رحت ألقي على مسامعه عدداً كبيراً من الأسئلة حتى ضج مني، تركت المقهى وأنا أكثر حيرة، فلقد كنت أظن أن هذا الرجل هو ضالتي وإنني سأجد حل اللغز لديه فهو الناج الوحيد من حوادث الاحتراق، لكنه جعل الرؤية أكثر ضبابية، فلم أعد قادراً على معرفة أي شيء. لقد اختلطت كل الأمور في رأسي.

سلكت الطريق إلى منزلي، ولم أستطع التوقف عن التفكير في هذه الظاهرة التي قدت مضجعي، وحرمت أجفاني النوم، منذ وطأت أقدامي هذا المكان اللعين، لقد أصبحت أخشى أن أتوهج ليلاً أو نهاراً

وفي أي لحظة، فليس لها مقدمات ولكنها نهايات لكل شيء.

طيلة الوقت أراقب كل جزء من جسدي، خشية أن تشب فيه النيران فجأة، ولا أحد يستطيع إنقاذي، وهل استطعنا إنقاذ كل من احترقوا أمام أعيننا وهم يطلقون صرخات الإستغاثة، ونحن نقف أمامهم عاجزين؟.

***

الفصل العاشر

إحساس بالعجز يؤرقني، لعله عجز العلماء عن إيجاد تفسير لهذا الغموض الذي أصبح يعتري حياتنا، أتمنى لو أترك هذه المدينة الملعونة، وأفر إلي غير رجعة حيث موطني والشعور بالأمان لكني لا أستطيع. حاصرتني الألغاز والشكوك من كل جانب، لم تعد لي القدرة على فهم تصرفات «ماهيتاب» كثرت عنها الأقاويل فمن يكون هذين الرجلين اللذين رأيتهما في غرفتها بالمستشفى، وماسر علاقتها المريبة بالدكتور «بسام» دائما بصحبته، تهمس في أذنه تضحك ضحكتها الرنانة الملفتة للإنتباه، واليوم ألمحها تخرج من غرفته على عجل وهى تسوي شعرها وتعدل من هندامها وتنظر حولها ثم تنطلق مسرعة.

ما الذي أصابني هل نشبت نار الغيرة في قلبي، هل ارتددت صبياً مراهقاً يتمزق عندما يرى محبوبته مع آخر، ماذا تكون «ماهيتاب» بالنسبة لي، حقاً شعرت في فترة من الفترات أني متعلق بها وقد صارحتني بحبها، وها هي الآن تعشق رجلاً آخر غيري، هل وقعت في حب غانية تبدل عشاقها كما تبدل ثيابها، هل هبطت من أفق محبوب إلى مجرد زبون صالة يتعلق براقصة تجالس غيره من الزبائن.

حب الفضول يسيطر علي.. يدفعني دفعاً خلفها في لهاث المحروم،

أقنع نفسي أني أبحث عن تفسير لتلك الظاهرة التي نشبت فجأة فأحرقتنا جميعاً، فإذا بكل منا كرة من نار تتأجج تنتظر لحظة الإنفجار، ومن يدريني أنني في مأمن منها، وجداني ومشاعري لا يستقران على حال، يتقلبان بين الفينة والأخرى وكأن إعصاراً يجتاحني.

فجأة لمحت «ماهيتاب» بعد أن تنهي رقصتها تتأبط ذراع مدير الملهى ويخرجان معاً في تلك الليلة قررت أن أقطع كل علاقة لي بماهيتاب وأسرعت بدوري إلى مكتب «بسام الشندويلي».

فتحت لي الباب فتاة في الرابعة والعشرين من عمرها، ظل كلانا ينظر للآخر حتى بدد الدكتور «بسام الشندويلي» سحابة الإرتباك التي سيطرت علينا للحظات وهو يقول:

-تفضل يا أستاذ «محمود» لا أحد غريب إنها «سوزان حكيم» مساعدتي في معملي الإلكتروني بجامعة فلوريدا، وتلميذتي النجيبة.

مددت يدي مرحباً. فقالت لي:

-تستطيع أن تدعوني «سوزي» فكل المقربين يدعونني بهذا الإسم.

راح « بسام» يكمل حديثه:

-جاءت تستشيرني في جزء هام برسالتها، فقد أوشكت على الانتهاء، وانشغلت عنها بتلك الظاهرة.

والتفت الدكتور « بسام» إليها:

-معذرة «سوزي» سأنجز بعض الأعمال وأتفرغ لك تماماً.

عرضت عليها أن اصطحبها في نزهة للمدينة، حتى يتفرغ لها دكتور» بسام» فوافقت مرحبة

وكأن «سوزي» قد ظهرت في الوقت المناسب لتخرجني من أسر «ماهيتاب»، في حقيقة الأمر لم أكن دليلها في المدينة بل هي التي كانت دليلا لي في نسيان محبوبتي الغانية واندمال الجرح الذي أصابتني به «ماهيتاب». راحت « سوزي» تسألني عن تلك الظاهرة التي شغلت الدكتور «بسام» والتي انتشرت في الآونة الأخيرة، وماذا أسفرت تحريات رجال الشرطة في كل الحوادث التي حدثت سواء في المدينة أو خارجها.

فوجئت أنها ملمة بكل ما حدث، وأنها مهتمة بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً، وأدركت أنها جاءت من أجله خصيصاً مع الدكتور» بسام»، وخشيت أن يتحقق الهاجس الذي راودني من قبل بأن يكون للدكتور «بسام» أعوان في كل مكان ينفذون له ما يريد.

لكن لا يمكن أن يكون لهذا الجمال الهادىء أي علاقة بالأذى، لقد أكد لي « بسام» مرات عديدة على أهمية هذا الموضوع للبشرية فهل يصدق حدسي، أتمنى أن يخيب ظني هذه المرة.

وجدتني شارداً فنظرت في ساعتها فأدركت أن الوقت قد حان للعودة، للقاء دكتور «بسام» وانطلقنا إلى المطعم لتناول العشاء معاً حسبما اتفقنا معه.

ذهبنا في موعدنا تماماً، لنجد دكتور «بسام» قد وصل إلى المطعم، جلسنا نتبادل الحديث

بدأ الدكتور «بسام» حديثه مع « سوزي» عن موضوع رسالتها:

-ما وراؤك يا «سوزي» هل أنجزت كل التعديلات التي طلبتها منك في المرة السابقة؟

-نعم.. يا دكتور.. انتهيت من فصل الدراسات السابقة ومناقشته.

- إنجاز عظيم.

-لكن يا دكتور هناك أمر خطير انتابني منذ سمعت بهذه الظاهرة؟

-ماذا يدور بخلدك يا «سوزان» ؟

-لقد استهواني الموضوع والفكرة خصوصاً أن هناك احتمالات عدة يجب أن نبحث فيها ونجري تجارب عليها.. لقد جمعت كل ما كتب عنها، ولدي أفكار جديدة ربما تضيف لهذا الموضوع.

ضحك دكتور «بسام»وقال لها:

-كنت أعرف أن وراء زيارتك موضوعاً خطيراً للغاية، وها هي النبوءة تتحقق.

-ما رأيك يا «سوزي» هل ستتغافلين عن كل ما أنجزته خلال الفترة الماضية؟

سكتت «سوزان» قليلا قبل أن تقول:

-أنا متشوقة للعمل في هذا الموضوع ولدي خطة بحث قوية سأعرضها عليك يا دكتور..

-اذن اتفقنا.. اكتبي الخطة وأريني إياها..

تفتح «سوزي» حقيبتها.. تخرج منها الخطة كاملة.. تقدمها للدكتور « بسام» الذي أخذ يطالعها ثم نظر إليها وابتسم ابتسامة ثقة وسعادة بتلميذته وقال لها:

-هذا هو ما أفكر فيه يا «سوزي» بالفعل.. أرأيت يا «محمود» أليس لي الحق أن أتمسك بها كمساعدتي وتلميذتي إنها دائماً جاهزة.

عادت تكمل حديثها مع الدكتور «بسام»

-أنت تعرف يا دكتور أن كرات البرق تحدث من وقت لآخر داخل الغواصات.

-نعم .. نتيجة لإساءة استخدام مفتاح السرعات والتي تستمد وجودها من البطاريات التى تستخدم فى الغواصة.

-بالطبع .. وعند وقوع الخطأ تخرج كرة البرق من مؤخرة مفتاح السرعات.

-نعم .. كل ما قلته صحيح لكن لا أفهم ماذا تريدين من هذا؟

-طوال الفترة الماضية حاولت أن أقوم بإجراء التجربة أكثر من مائة مرة وفي كل مرة تبوء بالفشل ولا تخرج كرة النار.

-ما رأيك فيمن يجري معك التجربة؟

-صحيح يا دكتور..أنا سعيدة للغاية أن نعمل معاً في هذا الموضوع بالذات، أرجو المعذرة يا دكتور لكن ماذا سنفعل؟ وأين؟ وكيف؟

عاد دكتور «بسام» يتحدث وهو متحمس:

- اهدئي.. كل شيء سيأتي في حينه.. سنحاول إجراء التجربة على وحدة بطارية في غواصة حقيقية حتى تتحقق الظاهرة التي نبحث عنها:

عادت تسأله:

لكن هذا المشروع مكلف جدا من الذي سيتحمل كل هذه الميزانية؟

أجاب دكتور « بسام»

-هذه الميزانية تم رصدها بالفعل لكنها مهملة منذ سنوات طويلة

لفشل تجاربهم عليها، لقد استطعت الحصول على الموافقة لإجراء تجاربنا عليه.

-صحنا معاً في صوت واحد رائع يا دكتور.

ضحكنا جميعاً واتفقنا أن نبدأ العمل منذ صباح الغد.

***

الفصل الحادي عشر

كنا قد أعددنا العدة والترتيبات اللازمة لبدء العمل في التجربة، حتى أرسل لي «تيم اسماعيل» من ولاية بنسلفانيا الأمريكية، حيث يعمل مراسلاً صحفياً هناك عن حادث مشابه، فحزمت أمري وكدت أسافر دون أن أخبر دكتور «بسام»، و«سوزي» لكني تراجعت عن ذلك الهاجس، اضطررنا لتأجيل التجربة حتى العودة، وبالفعل ذهبنا معاً لنجد سلطات التحقيق تبحث في الأمر..

كان الحادث الجديد لطبيب عاد لتوه من المستشفى بعد أن أجرى عملية دقيقة لإحدى المريضات، وقبل أن يتناول العشاء الذي أعددته له زوجته، اشتمت الزوجة رائحة غريبة تشبه رائحة الجلد المحترق، وفوجئت بزوجها ينتفض صارخاً بينما شعلة من النيران تندلع من جسده، قبل أن تحاول إنقاذه كانت جثة الطبيب المحترق قد تهاوت على الأرض ولم يتبق منها سوى جزء من إحدى ساقيه، وفي قدمه خف منزلي كان يرتديه قبل الحادث، أما بقية الجثة فقد احترقت بالكامل وتحولت إلى رماد.

عندما بحث المحققون وفحصوا أرضية الحمام، وهو المكان

الذي وجدت فيه بقايا الطبيب، وجدت حفرة صنعتها النيران التي التهمت جسد الرجل، كان الكل يقف مشدوهاً، وبرغم رؤيتي من قبل «لجانيت» والطفلة «داليا»، وهن يحترقن أمامنا، كان الموقف عصيباً علي، وخصوصاً «سوزي»ولا أدري إن كان دكتور «بسام» قد اعتاد رؤية هذا المشهد أم لا فهو يتعامل معه بشكل مختلف، فهو يفصل مشاعره كإنسان ويتعامل كطبيب وباحث.

أثناء عودتنا بادرت الدكتور « بسام» قائلاً:

-هذا الحادث ينفي لعنة الرحلة ٥٣٩ فالطبيب لم يكن معنا في الطائرة.

أومأ الدكتور «بسام» معقبا وهذا الحادث أيضا يبعد عن الأذهان أن الاحتراق لا يحدث إلا للنساء فقط.

حاولت هيئة التحقيقات البحث عن مصدر لأي شرارة كهربائية، أو معرفة سبب إندلاع النيران لكن الغموض ما زال يحيط بالحادث.

لم أنم تلك الليلة جلست إلى الكمبيوتر لأكتب تفاصيل الحادث كي أرسل بها إلى مكتب الجريدة، وعندما شرعت بالعمل أخرجني رنين الهاتف.. كان الدكتور «بسام» لم يكن صوته طبيعيا يلهث بشدة كأنه في مطاردة رحت أسأله بجزع:

- دكتور «بسام» ماذا بك؟

وجدته يحادثني بصوت منخفض:

- محمود.. احذر إنهم يتبعوننا ويتنصتون علينا، اكتشفت أن حجرتي تم تفتيشها تفتيشاً دقيقاً.

سألته:

-هل تعرضوا لجهاز الكمبيوتر؟

-لحسن الحظ كان معي عندما نتقابل سأشرح لك كل شيء، ثم أغلق الهاتف وتركني في دوامة من الأفكار، ما العمل تراهم الآن يراقبونني، مرت الدقائق دهراً بأكمله، كلما سمعت حركة أظنهم هم قد جاءوا للإنتقام منا. أشعر بعيونهم تتفرسني دون أن أراهم، أكاد أسمع صوت أنفاسهم خطواتهم تقترب مني للحظة شعرت أن الفراغ المحيط بي بالفندق سوف ينشق عن أيد ومديات وعصي ورصاص، كاد قلبي يتوقف في صدري من الخوف أسرعت خارجا من غرفتي، رحت أهبط درجات السلم إلى أسفل فوجئت بالدكتور «بسام» ينتظر بسيارته أمام الفندق دفعت بجسدي داخلها وأطلق لها العنان مبتعداً..

استطعنا عبور الظلام الساكن على عتبات الضوء، في كل شارع من شوارع المدينة الغريبة، فمنذ وطئت بأقدامي هنا، ونحن لا نسمع إلا عن تلك الحوادث المرعبة التي ليس لها تفسير منطقي مقبول، نظرت حيث كانت سيارة تتبعنا منذ انطلقنا من أمام الفندق، عندما أخبرت بها الدكتور «بسام» قال لي:

-أعلم أنهم لن يتركونا لنلتقط أنفاسنا، لكن أنا لدي تخطيط جيد أتمنى أن يسعفني الوقت لتنفيذه قبل أن يقترفوا معنا أي حماقة.

قلت له:

-اطمئن يا دكتور لن يتركونا أو يقتلونا إلا بعد أن يصلوا إلى بغيتهم.

*****

كانت السيارة التي تتبعنا مصرة على ألا نفلت منها تحاورنا.. تجاوزنا.. وتعود لتدور حولنا.. كلما انحرفنا يميناً أو يساراً اتخذت نفس المسار، دخل «بسام» في شارع كبير وترك السيارة جانباً، أشار لي أن أتبعه، وإذ بنا ندخل حارة ضيقة، ومنها إلى عطفة أضيق تؤدي إلى مكان غير معلوم، لم أستطع أن أعرف أين نحن، اتجهنا لمنزل قديم متهالك، يبدو أن سكانه قد هجروه منذ سنوات طويلة، خمنت أنه ربما يكون مكون من طابقين، عندما أضاء دكتور «بسام» كشافه لينير لنا الطريق.

بصيص خافت من الضوء نراه بالكاد، الظلمة تقودنا لسراديب مجهولة ضيقة خانقة، لم يرتدها بشر منذ زمن طويل، رائحة عطبة وعفنة تنبعث من كل مكان، كنت أشعر بحاستي أننا نهبط درجات خشبية متهالكة إلى أسفل، يوحي الجو العام بانقباض وخوف، صرت ألعن الظلام وألعن الرحلة الغامضة التي أوقعتني في هذا القبر الموحش.

هبطنا درجات كثيرة وكل منا ممسك بالآخر، لكن يبدو أن دكتور «بسام» يعرف هذا المكان جيداً، بل يحفظه عن ظهر قلب، كادت قدمي تهوي في حفرة، لولا أن صاح «الشندويلي» فجأة -احذر يا «محمود» الحفرة.

وما إن لمست قدمي درجة السلم الأخيرة صرخت بأعلى صوتي، فقد تسلل شيء إلى بنطالي، وعرفته من صوته يبدو أنه فأر صغير حاولت إخراجه وأنا أصرخ و«الشندويلي» يضحك بملء فيه وهو يقول:

- شر البلية ما يضحك.

اغتظت منه وقلت له:

- تضحك مني وأنا في هذا الموقف، بدلاً من أن تخلصني

قال لي وهو ما زال يضحك:

- تخشى فأراً، ماذا ستفعل مع أفراد العصابة يارجل المهام الصعبة؟

قلت له يا عزيزي كم أخشى هذه الكائنات المتسللة المراوغة، كلما رأيتها، تنتابني قشعريرة وصدمة عصبية، ويتوقف مخي عن العمل وكأن رأسي تحول لشوكات منتصبة محترقة فقدت صلاحيتها.. فما بالك بها تتسلل داخل ملابسي.

ربت على كتفي وقال لي:

- اطمئن يا صديقي أنت هنا في مأمن بعيداً عن العيون.

فجأة مررنا بسرداب مظلم طويل، ظللنا نسير فيه قرابة نصف الساعة، لنجد أنفسنا بعدها في شارع كبير يعج بالمارة ، ووجدت محطة قطار. ما إن ركبنا حتى ألقى كل منا بجسده المنهك على المقعد، بالرغم من حالة الإعياء التي كان كل منا يشعر بها إلا أنني صممت أن أبادر «الشندويلي» بسؤال:

-أرجوك يا دكتور «بسام» قل لي أين نحن؟

أجابني وهو يبتسم:

-اطمئن فقد أفلتنا من مطاردتهم .

حمدت الله على تمكننا من الهرب،

وجدت «الشندويلي» يناولني جريدة، وقد فتحها على صفحة بعينها وهو ويقول لي:

- أقرأ هذا الخبر وقل لي رأيك.

وقعت عيني على أغرب خبر قرأته في حياتي عالم وصحفي، يتزعمان عصابة للحصول على الأجساد البشرية، نزل الخبر علي كالصاعقة، فهم يتهموننا بسرقة الأجساد البشرية وحرقها، نظرت في وجه «بسام الشندويلي» لأجد ابتسامة ثقة كبيرة على شفتيه لم أكن أتوقعها بعد كل ما كتبه هؤلاء الأوغاد، لكنه راح يقول:

-هل صدقتهم؟ لقد لمحت علامات الشك والريبة منذ فترة ولم أصارحك لأرى إلى أين ستأخذك ظنونك بي..

أجبته:

-بالفعل أنا منذ فترة يساورني القلق بهذا الشأن.

-هؤلاء الملاعين أشعلوا الرأي العام ضدنا فماذا سنفعل؟

-أنت تتحدث وكأنك مدان بالفعل، هل نسيت أنك صحفي تتواجد أينما وجد الخبر.

-وكيف سنثبت للشرطة العكس؟

-لسنا متهمون حتى نثبت العكس، دعهم يجعجعون كما يريدون، أنت تعلم أن مثل هؤلاء لا يبغون من وراء عناوينهم إلا الفرقعة الكاذبة، هل هي المرة الأولى في عملك التي تواجه بها آفاقين من هذا النوع، عندما يتهمك أحد، لا بد وأن يكون لديه الدليل على إدانتك، وهناك سبب رئيسي يفعلون من أجله كل تلك الضوضاء.

لاحقته لأعرف منه:

-إنهم يحاولون أن يشعرونا بالتوتر والقلق، فلا نستطيع السيطرة على أفعالنا، وتهتز أعصابنا حتى أتحرك بشكل عشوائي، ليستطيعوا الحصول على البحث بأيسر الطرق وهذا هو كل ما يهمهم، ويشغل بالهم في الوقت الحالي.

-هل أنت واثق من المكان الذي تخفي فيه بحثك؟

-أتظن أنك تتعامل مع صبي مراهق لا يدرك نتائج أفعاله.

-كنت أعلم أن هذا البحث سيجلب علي المشاكل، وقد صدق حدسي وها هي بدأت تأخذنا في أغوارها.

-وما ذنبي أنا في هذه القصة وما دخلي بالبحث؟

-ألست صديقي الذي يرتاب في، ألم تنشر عن الحادث رغم تهديداتهم لك، إنهم لو يعلمون تشككك هذا بالنسبة لي، لبادروا بالإتفاق معك ضدي، ولأقنعوك مائة مرة أني أنا المجرم الحقيقي والفاعل الأصلي وراء كل هذه الحوادث.

-إنهم يعلمون أنك تعرف كل شيء عن البحث، وأنك ترافقني خطوة بخطوة، علاوة على أنك لم تستجب للتهديدات وأصررت على نشر حقائق قد تؤثر عليهم، وتضيع عليهم فرصة حقيقية.

-معنى ذلك أنهم سيطاردون كل من يقترب منك؟

أجابني :

- هذا يتوقف على عمله، وماذا يمثل لي.

جال في خاطري مشهد أرعبني وصحت على الفور:

-إذن قرب «سوزي» منك في هذه الفترة يمثل خطورة شديدة عليها.

-أصبت وهذا ما فكرت فيه بالفعل، لهذا أرسلتها في مهمة إلى فلوريدا لإبعادها هذه الأيام عن الخطورة ريثما نعود ونفكر في الأمر، و كلفتها بإحضار جهاز جديد يمكن عن طريقه إحداث ظاهرة البرق في غرفة صغيرة، حتى نتمكن من تفسير هذه الظاهرة التي حيرتنا.

-حسنا فعلت.

-لكني أريد أن أعرف ما أهمية هذا البحث لديهم؟

ضحك دكتور « بسام» وهو يقول:

-هذا البحث يا عزيزي، يوفر على تجار الأسلحة والمصدرين لها بلايين الدولارات، دون عناء أو مشقة، فهم يقتلونهم ويعيدون تصنيعهم.

وانطلق مرة أخرى في الضحك. كأنه تذكر شيئاً مهماً فتوقف فجأة عن الضحك وهو يقول:

-يكفي أن تعرف يا «محمود» أنهم عرضوا على مقابل التنازل عن هذا البحث وإعطائهم كل شيء يتعلق به، مقابل ثلاثمائة مليون دولار! قابلة للزيادة وهم رهن الإشارة.

-وما الذي يضحك في هذا؟

-تصورت أنهم سيتهمونني بالغباء حتى أترك مثل هذه الصفقة.

في الوقت الذي فكرت فيه مع دكتور «بسام الشندويلي» لطريقة

للهرب من هؤلاء الذين يتبعوننا، ولا يتركون لنا مجالا للتفكير أو البحث أو النشر.

اتصل بي أحد أصدقائي المراسلين يطلب مني سرعة الحضور إلى لندن فقد ظهرت حالة احتراق منذ أقل من ساعة، وعلى الفور انطلقنا أنا و «الشندويلي» لنتواجد مع الحدث، وجهاً لوجه.

***

الفصل الثاني عشر

لم تتوقف الأحداث المؤسفة، كان أغرب شيء رأته عيناي، وبالرغم أنها ليست المرة الأولى التي أرى مثل هذا النوع من الحوادث المؤسفة، فلقد شعرت للحظات أنني أعاين مشهداً من مشاهد السحر الأسود في العصور الوسطى، اطلعنا على تقرير الشرطة ووجدنا أن السيدة أرملة تعيش في منزلها بمفردها، في العقد الرابع من عمرها تجلس على كرسي وثير بغرفة نومها، تدخن لفافة من التبغ قبل أن يهاجمها النعاس، أشعلت اللفافة قميص النوم المصنوع من الألياف الصناعية، فالتهمت النيران جسد الأرملة العجوز، وبالرغم من ذلك لم يحترق الكرسي الذي تجلس عليه، تجولت بنظري في المكان وأنا أطلع على التقرير لأجد أن ما كتب فيه غير مقنع للغاية، خصوصاً أن الحوائط من حولها مغطاة بدهان من البلاستيك، ويوجد شمعتان بجوارها، لم تمسسهما النيران.

راح الدكتور «بسام» ينظر لي من خلف نظارته وهو يطالع التقرير ويقول:

-هل يمكن للفافة تبغ توليد طاقة حارقة بكل هذه القوة حتى تأتي على السيدة التي أصابتها نيران بقوة ألفين وخمسمائة درجة مئوية؟!

هززت رأسي بالنفي وقلت له:

-لقد قرأت أنه في عام ألف وتسعمائة وثلاثة، وصل إلى «سان بطرسبرج» حديث عن قوى صوفية قادمة من سيبريا، ذات عيون وحشية مضيئة، ونظرة مجنونة، ساهم ذلك وقتها في شهرة «راسبوتين».....

هز رأسه مؤمناً على كلامي ولم يعلق.

كانت الأحداث متتابعة، والحالات تتزايد يوماً بعد يوم، ولا يوجد سبباً بعينه يؤدي إلى حدوث الظاهرة أو السير في طريق يوصلنا للحقيقة، ورحت أسأل دكتور «بسام»:

-يجب أن تعطيني تفسيراً معقولا لما يحدث وإلا سأجن.

أجابني:

-بعض المتخصصين أرجع هذه الظاهرة لما يسمى بالبلازما، أو الحالة الرابعة للمادة التى تضاف الى حالات الصلابة و السيولة و الغازية، علاوة على أن اكتشاف البلازما قدم إطاراً يمكن من خلاله تفهم هذه الظاهرة، أو على الأقل الإقتراب منها أو محاولة تفهم غوامضها، هذا بالاضافة الى أن تيار شهود العيان المتواصل لم يتناقص، أما بالنسبة لما حدث لصاحب الساق الخشبية، فالبعض يفسر ذلك بأنه إذا ما تعرض الجسم البشري لهذه الكرات وحدث اصطدام بالبرق يتولد هذا الاحتراق الهائل.

-لكن يا دكتور «بسام» الرجل لم يتعرض وقتها مباشرة وإنما بعدها بأيام!

-نعم .. معك حق.. لكن ربما ادخر جسمه هذه الطاقة التي تعرض لها في رحلته الغامضة حتى اصطدم بالبرق، فما يحدث يمكن أن أشبهه تماماً بما يحدث في فرن الميكروويف، فهناك عدة نظريات تعلن أن كرات البلازما تولد مجالات مغناطيسية ذاتيا، فالبلازما غاز من الجزيئات المتأينة وكذلك الإلكترونات، كما أنها محايدة الشحنة الكهربائية تتحرك بشحناتها الكهربائية بما تحتويه من الكترونات وأيونات لتنتج الحقول المغناطيسية مما يرفع درجة حرارة هذه الحقول إلى درجات مرتفعة للغاية، وهذا يعني أن الجزيئات يجب أن تتحرك بسرعة، كما هو الحال في كرة البرق.

-تفسير منطقي خاصة وأن هذه المدينة ، يكثر بها البرق والرعد وربما يكون هذا السبب له علاقة بكثرة حالات الاحتراق لأنها تقع في نفس المجال.

كان حديث دكتور «بسام» دقيقاً للغاية، اقتنعت بمعظمه، لدرجة أنه قد سيطرت علي حالة من الذعر الشديد، فرحت أتفحص جسدي متوقعا أن تهب منه النيران في أية لحظة.

*****

استيقظت في منتصف الليل، على صرخات أحد الجيران، لم أكن أعلم في البداية مصدر الصوت، لكن رويداً اتضح لي، توجهت حيث مصدر الصوت محاولا تخمين الأمر. كان الصراخ يتصاعد من عقار بالقرب من الفندق الذي أقطن فيه، في الطابق الخامس والأخير من العقار، كانت امرأة معاقة ذهنياً، تجلس مع أبيها في حجرة بمنزلهما

ويروي الأب وهو في حالة من الهلع والخوف الشديدين:

-سقط فوقنا ضوء قوي، فأغمضت عيني على الفور، وعندما فتحتهما وجدت الجزء الأعلى من جسد ابنتي محاطاً باللهب، وكأنه يخشى أن تفر منه فأحاطها بشكل لا تستطيع معه الفرار، وأسرع أخوها غير الشقيق يساعدني في إطفاء الجسد المشتعل. لقد ماتت ابنتي مشتعلة ..

انفجر في البكاء في حالة هستيرية لم يستطع السيطرة على نشيجه وبكائه.

راح شقيق الضحية يدلي بأقواله للضابط وهو في حالة من الذهول:

-كانت النيران تخرج من فم أختي تصاحبها أصوات عالية، كأنني أمام وحش خرافي ينفث النيران في كل مكان، أو إحدى الساحرات الشريرات التي تقهقه ضاحكة فيخرج اللهب من فيها كأذرع أخطبوط عملاق، راح يحتويها بين أذرعه ولم نملك لها الفكاك فقد قرر الأخطبوط الناري أن يصطحبها في رحلة لا عودة منها.

لم يكن لدي في هذه الليلة أي رغبة في النوم فما زالت صرخات الفتاة وتأوهاتها تملأ أذني وأمام عيني كومة من رماد باهت ومقيت.

رحت أطرح تساؤلاتي على دكتور «بسام»، وربما أكون قد طرحتها عليه مراراً من قبل، كنت أرى أنه ربما يكون لإدمان الكحول سبب في ذلك الاحتراق، لكن دكتور «بسام» نفى ذلك و لم أقتنع إلا أن حسه كعالم وكباحث حتم عليه أن يثبت لي ذلك عملياً، فقام على الفور بتفنيد تلك النظرية من الناحية العلمية، وذهبنا إلى معمله، فوجئت

به يحضر لحماً وقام بنقعه في الكحول بكميات كبيرة، وقام بتعريضه للحرارة الشديدة لكن لم يحدث الإشتعال، نظر لي وعلى فمه ابتسامة الواثق من نفسه، وراح يعقب إذا كنت تربط أنت وغيرك الاحتراق بالكحول، فهناك بعض ممن ماتوا نتيجة الاحتراق لا يتعاطون الكحول.

خيم علينا الصمت مرة أخرى، كنت بالفعل أبحث في خلايا مخي عن تفسير منطقي وعلمي. انضم زميل للدكتور «بسام» يدعى «جميل فرحات» وهو يقول:

-ما رأيك يا دكتور «بسام» في وجهة نظر أخرى؟

-بكل سرور.

-إذا كنت ترفض مبدأ تناول الكحول من عدمه وارتباطه بظاهرة الاحتراق، فهناك ملاحظة أخرى قد تساعدنا في التوصل إلى الحل.

شعرت ببارقة أمل، وانتابني إحساس أننا على وشك الراحة، راح «جميل فرحات» يعرض وجهة نظره:

- أنا أعتقد بأن الدهن في الجسم قابل للإشتعال

راح الدكتور «جميل» يستطرد في حديثه:

- ربما لاحظتما أن العديد من الضحايا كانوا من زائدي الوزن.

ضحك دكتور «بسام» وقال:

-كنت أتمنى أن تثبت لنا صحة نظريتك ونؤيدها، لكن أثبت خطأ تلك النظرية أيضاً حيث إن هناك آخرين كانوا من ذوات الأجساد النحيلة فاحترقوا نتيجة الاحتراق الذاتي.

أسقط في يدي مرة أخرى ولم أكن وحدي هذه المرة لكن عزائي

أن معي دكتور «جميل فرحات»، الغريب أن كلاً من دكتور «بسام» ودكتور «جميل» لا يشعران باليأس ولا يستسلمان كعادة العلماء، وكلما برقت لهما فكرة جديدة يدوران في فلكها حتى تثبت خطأها أو يصلا للحقيقة التي يبحثان عنها.

***

الفصل الثالث عشر

انطلقت بنا عربة الدكتور «بسام» في طريق المطار لاستقبال «سوزي» العائدة من فلوريدا، ونحن في الطريق بادرته متسائلاً:

-هل تعتقد أن «سوزي» نجحت في مهمتها؟

أومأ مؤكداً:

-بالتأكيد.. لقد اتصلت بها تليفونيا وأكدت لي أنها تمكنت من الحصول على الجهاز.

-عظيم.. معنى هذا أننا سنبدأ التجربة على الفور. معنى هذا أننا سنبدأ التجربة على البطارية القديمة للغواصة.

كان العمال يعملون ليل نهار محاولين إحداث كرات البرق من جديد في ظل المختبر وتحت مقاييس معملية، أجريت التجربة أكثر من مئة مرة دون أن تحقق الهدف المنشود، وفي كل مرة يعود الفريق متعباً، لكنه يعاوده الأمل من جديد في اليوم التالي.

حاول فريق العمل أن يستخدم مفاتيح السرعات، إلا أن البعض كان يخطيء في استخدامها بالرغم من تحذيرات دكتور «بسام» من الإستخدام الخاطيء لمفاتيح السرعات بالغواصة.

أخيرا حانت الفرصة وجاءت المكافأة في النهاية، لتكلل مساعينا

بنجاح التجربة، وجدنا ألسنة من اللهب تخرج من مفاتيح الغواصة وتتحول لكرة من اللهب تعالت الهتافات والضحكات، لكن أعقبتها صرخات واستغاثات، تحولت ألسنة النار إلى كرة ، لكنها لم تكن كرة البرق التي نحاول تحضيرها في المعمل، وبرغم أننا استطعنا السيطرة على حالة الذعر والهلع التي انتابت العاملين إلا أن الخسائر كانت كبيرة فلقد أصيب بعض العاملين بحروق في سيقانهم.

برغم ما حدث إلا أن دكتور « بسام» كان متفائلاً أن التجربة تسير في مسارها الصحيح، لكن لا بد من الجهد المتواصل والصبر حتى يتحقق ما نتمناه، كان الجميع يرى عكس ذلك فلقد هجرنا الأمل من أن ترى هذه التجربة النور.

أصر دكتور «بسام» على مواصلة التجربة، في نفس الوقت وصلت له رسالة من إدارة الموقع الذي نعمل به والذي توجد به البطارية، يطلبون فيه إخلاء الموقع لإقامة مشروع بحث علمي آخر، لم يكن لدينا وقت للتفكير على الإطلاق حيث كان البلدوزر يتأهب أسفل المبنى لبدء عمله بمجرد مغادرتنا.

راح كل فريق منا يلملم الأدوات والمعدات، وكمحاولة أخيرة يائسة لإضافة جو جديد حول مفتاح السرعات فصنعوا صندوقاً صغيراً من السولوفان حول المفتاح و دفعوا فيه بقدر قليل التركيز من غاز الميثان. كان تقديرهم أن ذلك القدر القليل من الغاز لن يؤدى إلى اشتعال النار ومع ذلك ولحسن حظهم أنهم كانوا لحظة إجراء التجربة يتجمعون خلف أكياس من الرمل. عند تشغيل المفتاح اندفعت ألسنة من اللهب..

علا هدير الرعد و كل ما أدركوه ساعتها أن سقف المكان قد طار فى الهواء.

تصور الجميع أن ذلك الحادث سوف يضع نهاية فاشلة لتجاربهم لكن عندما شاهدوا الأفلام السينمائية التى التقطتها آلتا التصوير السينمائى والموضوعتان بزاويتين مختلفتين بالحجرة شاهدوا الأفلام بعد تحميضها دهشوا للنتيجة وتغير رأيهم فى حصيلة تجاربهم فعلى مدى حوالى مئة إطار أو كادر سينمائي شاهدوا كرة مضيئة قطرها حوالى ١٠ سنتيمترات. يؤكد الدكتور «بسام» أن هذه الكرة المضيئة تثبت أنها ليست نتيجة عيب فى الفيلم. إنما ترتبط بشكل ما بظاهرة كرات البرق.

حاول دكتور « بسام» أن يصنف خواص كرات البرق وتمكن حتى الآن من عزل بعض الحقائق الهامة التى يمكن أن تكون ذات قيمة كبيرة فى بحثه حول هذه الظاهرة. من بين هذه الحقائق أنها تتحقق عادة فى أعقاب العواصف البرقية العادية و أن كرة البرق قد يصل قطرها الى ١٥ سم فى المتوسط و يتراوح لونها بين الأصفر و الأحمر وهى لا تكون ساخنة وغالباً ما يصدر عنها ما يشبه الفحيح.

مع أن دكتور « بسام» يميل إلى إرجاع الظاهرة إلى ردود فعل كيميائية إلا أن الكتابات العلمية الأخرى حول كرة البرق تحفل بالعديد من التفسيرات المتناقضة، إلا أنه كان مؤمناً بأن من بين هذه الظواهر ما يطلق عليه ظاهرة الاحتراق التلقائى للجسم البشرى و يرى أن هذه

الظاهرة قد يرجع حدوثها الى اصطدام الجسم البشرى بواحدة من كرات البرق. و أن كرة البرق تؤثر على الإنسان بنفس الطريقة التى يعمل بها فرن الميكروويف و الذى ينضج ما بالداخل دون أن يؤثر على السطح.

***

الفصل الرابع عشر

كان شغلي الشاغل طوال هذه الفترة، البحث في كل ما ينشر عن تلك الظاهرة، لم يكن هناك رأي يمكننا الأخذ به حتى الآن، ولم يعد الأمر بالنسبة لي مجرد تغطية حادثة أو غيرها مما يغمض علينا، لكن كنت أريد أن أعرف ما وراء الحدث، زادت الصلة بيننا نحن الأربعة وكان كل من دكتور "بسام الشندويلي" ودكتور "جميل فرحات" و"سوزي" يشركونني معهم بالرغم من إنني لست متخصصاً.

دعاني دكتور "بسام" لحضور مؤتمر علمي لمناقشة تلك الظاهرة، وقال إن هناك بعض ممن جاءوا بتفسيرات جديدة ربما توصلنا لتفسير علمي. كنت كالعاشق الولهان الذي ينتظر موعداً مع محبوبته ويأبى الوقت أن يمر، رحت أقرأ كل ما كتب عن الموضوع قبل حضور المؤتمر.

خرجنا من الفندق أنا والدكتور" بسام الشندويلي" و"سوزي" ما إن أتى الأتوبيس الذي يقلنا إلى قاعة المؤتمر حتى لاحظنا انتشار أناس ملامحهم غريبة تتسم وجوههم بالصرامة، وحركة غير عادية في الأتوبيس من إغلاق للنوافذ والأبواب وإسدال الستائر، حاولت "سوزان" أن تفتح النافذة فلقد شعرت بإختناق خصوصاً أن التكييف لا يعمل، لكنها فوجئت بالرفض من قبل أحد الأشخاص الذي يقف

بجوار مقعدها.

بدأ الشك يساورني، خصوصا عندما انحرف السائق بنا في طريق عكس اتجاه المكان الذي يعقد به المؤتمر، واستولوا عنوة على الحقائب التي معنا.. راحوا يفتشون بكل دقة حقيبة دكتور "بسام" ومساعدته "سوزي" ومما أثار حفيظتهم أنهم لم يجدوا شيئاً.

أدركت أننا وقعنا في شرك لا فكاك منه، فقد بدا واضحاً أننا مقتادون لجهة غير معلومة، حتى عندما حاولت الحديث مع أحد الرجال لمعرفة إلى أين نحن ذاهبون، وماذا يريدون منا أشار لي بالصمت دون أن ينبث ببنت شفة، ظللنا سائرين وسط أحراش كثيفة ومناطق وعرة أحياناً تنقلنا إلى مناطق جبلية وصحاري قفر، فجأة التقطت أسماعنا صفارات الإنذار، توجه الرجال، وراحوا ينظرون من نوافذ الإتوبيس وفي لحظة واحدة أحاطت بنا عدد من عربات الشرطة وأمروا السائق بالتوقف، اندفعوا داخل الإتوبيس وقبل أن يبدوا أي مقاومة كان قد تم القبض على المختطفين عرفت بعد ذلك أن التي قامت بإبلاغ الشرطة هي "ماهيتاب".

ونحن في طريقنا إلى المؤتمر اقترب مني الدكتور "بسام" وهمس في أذني:

-أعرفت كم ظلمت "ماهيتاب" لولاها لكنا ضحايا هؤلاء الإرهابيين وليس هذا فقط فهي التي أبلغت الشرطة وقد حاولت العصابة تجنيدها لسرقة الملف الخاص بي ولجمع معلومات عنا فأبت وأخبرتني بكل شيء وعندما رأيتها خارجة من حجرتي كانت تبلغني بأمر هذه العصابة.

وصلنا إلى المؤتمر على وجه السرعة بعد مرور ثلاث ساعات على موعد بدءه، عندما دخلنا القاعة ضجت بالتصفيق وتوافدت وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون تسأل عما حدث واستطاع الدكتور "بسام" أن يسيطر على القاعة بهدوئه وابتسامته العذبة.

بدأت الحلقة العلمية والجميع ينتظر، هل بالفعل ستسفر عن شيء حقيقي، كنت قد أعددت ملفاً كاملاً يحتاج في النهاية لخاتمة الموضوع والتفسير المنطقي سأقدمه للجريدة، ومن الرائع أنه قد تعددت النقاشات ووجهات النظر المختلفة ففوجئت بأحد الصحفيين يقول:

- في أغلب المؤتمرات والحلقات العلمية يبدأ المتخصصون أولاً، لكننا هنا سنبدأ بكل الأطراف غير المتخصصة لنترك العلماء في النهاية يجيبون على تساؤلاتنا ولكن من وجهة نظري الشخصية والتي قد تبدو غريبة بعض الشيء.. "هناك لغز واحد أسال عنه فالاحتراق الذاتي الذي تبدو بعض الحالات وكأنها تتحدى الواقع بتفسير غير منطقي، يترك لي شعوراً مخيفاً غير علمي، فالجميع يريد أن يعلم ما هو الاحتراق الذاتي، وما طبيعته لكني ببساطة لا أريد أن أعرف".

ثارت القاعة وعجت بالأصوات والهمهمات، ما بين مؤيد ورافض، غير أنه ارتفع صوت آخر يدحض الظاهرة بقوله:

- نحن نرى أنه من خلال تلك الأبحاث بأن السبب الحقيقي وراء الاحتراق الذاتي مجموعة متفجرة من المواد الكيميائية تنشأ في النظام الهضمي بسبب حمية سيئة، بسبب غاز الميثان الذي يتكون في الأمعاء.

راح محمود القباني يسرح بخياله في معلميه وكم ذكروا له أن هذا

الغاز هو المسئول عن الاحتراق. وتذكر يوم أن شرح له معلمه وهو في المرحلة الثانوية، تخيل هذه التفاعلات الإنزيمية الموجودة في الأمعاء، وكأنها صديق بشجعك على الاستذكار هي أيضا بروتينات تعمل كمحفزات لتنشيط التفاعلات الكيمائية في الجسم.

انتبه محمود على صوت أحد المتخصصين وهو يؤيد نظرية الفوسفاجين، وعاد له صورة معلمه وهو يشرح المركب الخاص بالنظرية وكيف يمتص الحرارة، ويكونها في العضلات ثم يمدنا بها مرة أخرى أثناء التدريبات الرياضية القاسية.

أخرجه من تركيزه أحد الباحثين وهو يسأل:

- كيف إذن يحدث الاحتراق؟

أجابه:

- تحت ظروف معينة ترتفع نسبة هذا المركب في جسم الإنسان مما يجعله مادة قابلة للاشتعال يحترق مثل البارود الرطب.

غير أن ذلك لم يرض غرور البعض فراحوا يسجلون اعتراضهم على النظرية متعللين بأن الجسم قد يصبح قابلاً للاشتعال لكن من أين أتت المادة المساعدة على اشتعاله في مائتين وخمسين حالة التي أصيبت بالاحتراق الذاتي ؟!.

ربما لو وفقنا بين نظرية الفوسفاجين و بين الأشعة الكونية الساقطة على الجسم لكانت تلك الأشعة هى المادة المساعدة على الاشتعال.

انبرى أحدهم:

- أحدث الآراء العلمية و أكثرها قبولاً هو الرأي الذي يرجع الاحتراق

الذاتي إلى تفاعل خلايا البلازما في جسم الإنسان.

أحد الصحفيين مشيرا بيده:

- نود توضيحا لتفاعل خلايا البلازما.

- تقدم الباحث ممسكا قلما وراح يرسم ثلاثة دوائر توضح حالة المادة من صلبة وسائلة وغازية ثم قام برسم دائرة رابعة توضح حالة البلازما كحالة رابعة من حالات المادة.

عاد الصحفي يسأل من جديد:

-ومن أين تأتي الكهرباء في حالة البلازما؟

ابتسم الباحث وقد أشار له بالجلوس:

- من تحرك خلايا البلازما تولد الكهرباء و تكون ما يشبه بالدوائر الكهربائية.

راح محمود القباني يسجل بعض التفسيرات عن البلازما بعدما كادت رأسه تنفجر لكثرة النظريات وحالات الاحتراق الذاتي، لكنه ببساطة ودون تكلف وضح أن بكل خلية بلازما طبقتان تحمل كل منهما شحنة كهربائية مختلفة عن الأخرى، هذه الطبقات تعمل كمكثف يخزن الطاقة.

صاح أحد الحاضرين مستفسرا:

- إذن كيف يحدث الاحتراق؟

يواصل الباحث:

-من تلك المكثفات الكثيرة قد تنفجر عند أي خلل يعوق التفاعل الكيميائي الطبيعي في جسم الإنسان .

اعترض معظم الباحثين الذين تواجدوا في قاعة المؤتمرات وكان من بينهم دكتور "جميل فرحات":

-هذا التفسير غير منطقي، لا يتفق مع وجود حالات الاحتراق التلقائي، لقد احترق الجسد من الخارج فقط دون الأحشاء، ولو كان هذا التفسير مقبولاً، لبدأ الاحتراق بالداخل.

أجاب أحدهم:

- الرأي الذي يقول بأن أي إنسان عرضة للاحتراق بطريقة غريبة، وبدون معرفة بظروف موته، أمر غير قابل للتصديق، لأننا نجهل كل الأسباب والشروط التي سبقت الحادث وأسبابه.

رد آخر:

- إذا كنا نتحدث بهذا المستوى العلمي البدائي، فنحن نعود لأكثر من ثلاثة قرون.

عندئذ صعد رئيس المؤتمر الدكتور " بسام" وقال:

- إن الاحتراق الذاتي ببساطة لغز مخيف، لم تتكشف طلاسمه بعد، ونحن معاً اليوم من أجل الجديد، وربما نجد ضالتنا مع الفريق البحثي، مجموعة من الباحثين تبنوا وجهة نظر أو تفسير ربما يبدو مقبولا، لتفسير الاحتراق الذاتي، لقد لاقى استحساناً من الجميع قام أحدهم:

- لقد توصلنا من خلال تجاربنا على نظرية تصعيد الكهرباء الساكن، أنها أنسب التفسيرات لهذه الظاهرة الغامضة، حيرتنا واحترنا معها حيث يعتقد البعض أن الإطلاق المستقر للكهربائية يمكن

أن تسبب لأي إنسان الاحتراق الذاتي، وذلك لأنه يتم توليد حرارة داخلية كبيرة بسبب الكهرباء الساكنة.

عاد دكتور " بسام" ليكمل حديثه ووجهة نظره قائلاً:

- لقد تم رصد جميع الحالات التي حدث لها ما يسمى بالاحتراق الذاتي، ومن خلال تحديد الوقت الذي حدثت فيه تلك الحوادث، وجد أن جميع هذه الحالات ترتبط بوقت معين ترتفع فيه الكثافة المغناطيسية للأرض، خلال اليومين السابقين على حدوث تلك الحوادث مما يؤثر على كل شيء في الأرض خصوصاً جسم الإنسان.

شعر الجميع بالإجهاد وحان وقت رفع الجلسة وموعد تناول الغداء على أن يعودوا لاستكمال المؤتمر، فالجميع ينتظر نتيجته بنفاد صبر، ولكن في نفس الوقت الأمعاء الخاوية من الطعام نفدت مؤونتها .

***

الفصل الخامس عشر

سنة ٢٠٢٣، ٢٠٣٥

عاد الجميع وقد ساد القاعة هرج ومرج من الباحثين ومعارضات كثيرة لما تم عرضه في الجلسة السابقة وقال أحدهم:

-هذا هراء.. لأن المجال المغناطيسي الذي تتحدث عنه يا دكتور ضعيف للغاية.

أجابه الدكتور " بسام بثقة العالم الواثق من نظريته:

- معك حق.. المجال المغناطيسي للأرض رغم ضعفه، يمكن أن تكون له من التأثيرات مالا يمكن التنبؤ بها، وغالباً لا تكون محمودة العواقب، كما إننا لم نصل بعد إلى شيء عن فهم الآلية البيولوجية، التي تؤثر بها المغناطيسية على الجسم البشري، ومن هنا يحتمل أن يكون الاحتراق الذاتي للإنسان هو نوع من التحلل الجزيئي أو الكيميائي، تشعل شرارته الأولى التغيرات المغناطيسية مما ينتج عنه طاقة حرارية مجالية. وبالرغم من ذلك فإن هذه النظرية تفسر جانباً من الظاهرة، وتظل بعض الجوانب خافية علينا مثل ندرة حدوثها، وبقاء محدودية النار لما حولها من أشياء قابلة للإشتعال، وتظل بعض الأسرار خافية علينا تحير العلماء ليواصلوا البحث عنها.

في هذا المجال فإن بحثي مع الدكتورة "سوزان حكيم" يكشف اللثام عن خفايا مرعبة تنتظرنا خلال سنوات أو أيام أو ساعات قليلة لا أحد يدري..

صعدت الدكتورة "سوزان" إلى المنصة، وفي ظل صمت كئيب ساد القاعة بعد أن اكفهرت الوجوه وغاضت البسمة من الوجوه راحت تقول:

- لا شك أن هذه الظاهرة تتحدى العلوم الطبيعية، لقد استهواني مبدأ سيطرة العقل على المادة وسأقوم بعمل التجربة عملياً أمامكم، قامت الدكتورة " سوزان حكيم" بتحريك قطع من الألمنيوم بعد أن وضعتها فوق كفها فاندهش الحاضرون ومن خلال ابتسامتها الهادئة راحت تقول:

أليس ذلك دليلاً على المغنطة؟

-هز الحاضرون رؤوسهم في إيجاب.

-من ناحية أخرى حاولت أن اتخذ طريق اليوجا لتنمو الكهرباء البيولوجية في جسدي، فأحسست بتيار قوي يجتاز رأسي وينخفض الى أجزاء منه، لقد استطعت تحريك صندوق حديدي متدل من السقف من مكان بعيد، وقامت "سوزان" بتشغيل فيديو يبين ما قالته بالفعل، وهذا دليل قوي على أن تمارين اليوجا تولد بالجسم طاقة كهربائية قوية مصدرها العقل.

أمام كل ما قدمته من أدلة كنت أتمنى أن أبشركم بشرى سارة ولكني صعدت إلى هنا اليوم لأحذركم من تعرض العالم لعاصفة شمسية مدمرة تقترب من كوكبنا فعندما تبدأ الشمس في الرحيل عن نهار أحد الأيام المقبلة في سبتمبر ربما في عام ٢٠٢٣، لقد توقعنا حدوثها عام ٢٠١٢ لكن شيئا لم يحدث والآن لا نملك إلا أن ننتظر.. ستكون البشرية جمعاء على موعد مع حدث تاريخي لم يسبق له مثيل،

من المنتظر له أن يلقي بظلاله على كافة المستويات وسيظل بشكل كبير يؤثر على كثير من الأمور في حياتنا.

في تلك الليلة سيكون سكان العالم في حالة من الرعب، التي تكتظ فيها السماء المعتمة آنذاك بوهج ناري غير مسبوق لأنهم سيكونون على موعد مع كارثة حقيقية تهدد بعودة سكان الكوكب إلى عصر القرون الوسطى نتيجة للعواقب الوخيمة التي ستترتب على تلك الكارثة، والتي ستتجسد في صورة عاصفة شمسية مدمرة للغاية !!

تدخل دكتور " بسام" يكمل ما قالته مساعدته وتلميذته دكتورة " سوزان حكيم".

-بالفعل في الوقت الذي قد يدهش فيه بعضكم من فرط نبرة التشاؤم التي تسيطر على التحذيرات السابقة، إلا أنها وبكل أسف حقيقة مريرة نزيح النقاب عن كامل تفاصيلها اليوم أمامكم ونضع بين أيديكم أن هذا اليوم المزعوم سوف يشهد مجموعة من الظواهر الكونية والبيئية الغريبة، من بينها انتشار أعمدة لتموج أخضر وهاج يشبه الأفاعي السامة العملاقة في السماء و ستلوح في الأفق تموجات برتقالية متلاحقة . وبعد مرور ٩٠ ثانية ، سوف تبدأ الأضواء في الزوال. لكنها ليست الأضواء الموجودة في السماء لأنها ستظل متلألئة حتى فجر اليوم التالي، لكن الأضواء التي ستختفت هى الأضواء الموجودة على الأرض.

استكملت دكتورة سوزان مرة أخرى الحديث:

- ليس هذا فقط كل ما سيحدث لكن في غضون ساعة واحدة فقط، سوف تغيب الطاقة الكهربية عن أجزاء كبرى من الأرض. وقبل منتصف الليل ستصاب كافة شبكات الهواتف المحمولة بأعطال، كما

ستصاب شبكة الإنترنت بالشلل التام. وستشوش المحطات التلفزيونية، سواء كانت أرضية أوفضائية، كما ستصاب المحطات الإذاعية بحالة من السكون. وقبل حلول ظهر اليوم التالي، سوف يتضح أن أمرًا جليًا قد وقع وأن العالم المتحضر قد بات يحتضر لتحل الفوضى محل النظام والارتباك. وتتناثر جثث الموتى في كل مكان لا تجد من يقوم بدفنها .

تدخل أحد الصحفيين بصوت أوشك على البكاء:

-هل هي نهاية العالم؟

رد دكتور "بسام":

-إن الانحراف القطبي يحدث كل ست وعشرين ألف عام مصحوباً بآثار مدمرة تشبه بالفعل نهاية العالم ومع الأسف ليس لدينا تاريخ مدون لأحداث جرت قبل ست وعشرين ألف عام. لكن من بين هذه الآثار المدمرة الاحتراق الذاتي، أما الآن نستطيع أن نرجع كل ما حدث من تلك الحالات من الاحتراق الذاتي لهذا الإنفجار الشمسي الذي حدث في مكان ما على الأرض وفي طريقه إلينا، فما حدث وسيحدث ماهو إلا مظهراً من تلك المظاهر التي تنذر بإقتراب وقوع الكارثة.

في غمار تلك الأحداث السيئة، تبقى هناك بارقة أمل ومن هنا أعلن عليكم اليوم حصاد أكثر من عشرين سنة من العمل المتواصل لأضع بين أيديكم ما يؤمنكم قنبلة نووية من رماد بشري، ومن هنا أرفع شعاري "رماد من أجل السلام".

***

الفصل السادس عشر

خرجت من القاعة التي تموج هرجاً ومرجاً، وقد شملتنا عاصفة قوية من الفزع، وأدركت أن النهاية قادمة لا محالة، وأن الشرارة التي أشعلت جسد "جانيت" ما زال طرفها يتوهج في جسدي، وأن الأنفاس صارت معدودة قادتني قدماي إلى حجرة "ماهيتاب" بالفندق وقد ندمت على سوء ظني بها فلولاها لكنا متنا جميعاً على يد أفراد العصابة ولا أدري لماذا تذكرت الآن "مهسوري" البريئة التي ظلمها الناس، ما إن فتحت لي الباب حتى قلت لها:

- "ماهي" أتتزوجينني؟

تعلقت بوجهي لا تدري ماذ تقول، أحسست في وجهها بالتردد لكن عينيها البراقتين كانت تقولان الكثير، لفت نظري زرقتهما الحانية التي أخذتني في عالم لم تطئه قدماي ولم تره عيني ولم تسمعه أذني ولم يعه عقلي، حتى الكلمات التي انسابت على شفتي، لم ترد من قبل في قاموس المحبين. ووجدتها تهز رأسها هزتين رقص لها قلبي طرباً ولم أدر بنفسي وأنا اندفع نحوها وأضمها بقوة وألثم جبينها، بينما لمحت في عينيها دموعاً.

كنت أتمنى أن يكون حفل زفافنا في "مصر" لكنني خشيت أن

يتوهج جسدي في الطريق بين "لنكاوي" و"القاهرة".

لم يكن مجرد حفل زفاف لكن كان بمثابة وداع لكل الأصدقاء وفريق العمل، فلقد شعرت إنني واحد منهم، ارتبطنا جميعاً شهوراً طويلة وصرنا كالعائلة الواحدة. كان من الصعب علينا أن نفترق لكنه عهد صداقة يتجدد، وكان الشاهد على هذا الميثاق هو زواجنا فقد كان هو الرابط والميثاق مع كل الأصدقاء.

كان في وداعنا بالمطار دكتور "بسام الشندويلي" ودكتور "جميل فرحات" و"سوزي"، تألقت "ماهي" كالملائكة ترفل في فستان أبيض، عيناها الزرقاوان تعكسان تألقاً أخاذاً، فأشعر أنني ارتاد سفينة فضائية أسبح بها في عالم هاديء.

سألتها:

-أسعيدة بهذا الحب؟

أجابتني:

-كيف لا أكون سعيدة وأنت الحب ذاته رأيت فيك رجلاً كنت أحلم به طيلة عمري ولم ألتق به إلا اليوم فقط.

ابتسمت وقلت لها:

- دائماً السعادة تبدو متنكرة في ثوب الشقاء فالحب يبدلنا فجأة ويشعل في صدورنا حوافز البطولة والجهاد، فإذا كنا فقراء لم تروعنا الفاقة، بل هزأنا بالبؤس وتحدينا القدر. وإذا كنا بلهاء تفتقت أذهاننا واضطرمت فيها شعلة الفكر، وإذا كنا كسالى سرى الدم الحار في عروقنا، وأقبلنا على العمل بعزم الجبابرة. هكذا نؤكد بالحب وجودنا

ونؤكد استحقاقنا للحياة، ونرفع قربان العمل والجهاد إلى هيكل محبوبنا وهيكل الحياة.

لكني أريد أن أسألك حبيبتي أي لون من ألوان الحب تحبين؟

نظرت لي بعينيها الزرقاوين وقالت:

-يالك من خبيث ماكر تود أن تسمعها بكل شكل، وترسمها بكل لون لكني لن أبخل عليك الليلة بشيء، فقد ادخرت مشاعري وحبي وقلبي لمن أحب وها أنا أمنحها لك بسخاء فأمامك الكثير فلتنهل منه.

قلت لها:

- أنا في الحقيقة عطشان أرتمى في صحراء مقفرة، وآن الأوان للإرتواء من نبع الحب وأنت نبعي ونهري لكنك تراوغينني في الإجابة:

- لا.. أبداً..الحب له ألوان كثيرة، فبعضنا يحب بخياله وفكره فقط، وبعضنا الآخر يحب بقلبه وعواطفه، والسواد الأعظم يحب بحواسه وغريزته فقط.

-وكيف ترين الحب الكامل؟

-الحب الكامل الذي تلتقي فيه جميع هذه القوى، فشيء رائع ونادر وهذا هو السر في تهالك الناس عليه منذ الأبد.

طبعت قبلة على جبينها، فاستسلمت لها وأرخت سدولها فكأنما أطبقت على كل الماضي بما فيه من وجع وأنين وقالت لي:

- هل عرفت أنني أحبك حب كامل

قلت لها:

-أريدك أن تحبينني حب "ماهي" وليس حب كامل.

أشرقت ضحكاتها كشمس مشرقة على واد، فتحول في الحال لواحة خضراء وسماء صافية أزالت مسحة الحزن المتعاقدة مع قسماتها وربما تكسبها جمالاً يذكرني بالجيوكندا.

فاجئنا طاقم الطائرة بتقديم تورتة للعروسين وجاء الكابتن ليحيينا، وعزفت الموسيقى أعذب الألحان وتوافد الجميع لتهنئتنا وانطلقت الزغاريد من المقاعد المحيطة بنا.

قالت لي:

-لا أصدق أن الدنيا تبتسم لي تلك الإبتسامة الواسعة فلم أعتد ذلك منها أبداً في أي وقت مضى.

ضحكت وقلت لها:

-هكذا الدنيا يا حبيبتي يوم لكِ ويوم عليك،-سأعود إليك حالاً يا حبيبتي.

تركتها ريثما أعود إليها بعد قليل، شعرت بشوق جارف إلى وجهها الحبيب في تلك الدقائق القليلة، ترى هل هذا ما يسمونه بشوق المحبين، لن أخذلها حتى آخر العمر سأظل متلهفاً عليها حتى النفس الأخير.

كنت بدورة مياه الطائرة، عندما تنامى إلى سمعي صوت صياح وصراخ بالخارج، شعرت بإنقباض في قلبي، عدلت من هندامي وخرجت مسرعاً، لأجد الجميع حول مقعدينا عندما اقتربت من مكاننا بالطائرة شعرت بحرارة شديدة، حاولت تفريق الجمع ووجدت المضيفة تحاول إطفاء النيران المشتعلة لكن دون جدوى، بحثت عن ماهيتاب وجدت فستان زفافها الأبيض وطرحتها على المقعد، لم أفهم ما حدث

إلا عندما وجدت حذاءها وجزءاً من قدمها أسفل المقعد فلقد تلاشت "ماهيتاب" واحترقت ككرة من نار يلفها حزام أزرق اللون. بينما تدلت سلسلة تحمل فصا أزرق اللون..

كانت تنظر في صمت رهيب ينم عن شجن دفين، كأنها تقول هل عرفت قصتي؟

النهايـــــــة

مسابقة أدب الخيال العلمي «القصة القصيرة والرواية»

تعلن «دار النخبة» عن إطلاق المسابقة الأدبية العربية الأولى في أدب الخيال العلمي «القصة القصيرة» حسب الشروط التالية:

* لا تزيد القصة المرسلة عن عشر.

* عدد صفحات الرواية من ٥٠-١٠٠ صفحة.

* توافر عناصر القصة القصيرة ومقومات أدب الخيال العلمي.

* الأعمال الفائزة سيتم نشرها ضمن الأعداد المقبلة من «سلسلة الخيال العلمي».

* تمنح أول قصتين فائزتين جائزة مالية.

* موعد استقبال الأعمال الخاصة بالمسابقة من ٢٠١٧/٣/١ وحتى ٢٠١٧/٥/١

* يتم الإعلان عن القصص الفائزة بعد تقييمها من قبل الهيئة الاستشارية في موعد أقصاه ٢٠١٧/٦/١.

* ترسل الأعمال إلى العنوان التالي:

٣٣ ش الحرية (السنترال)، المجاورة الأولى، الحلي الأول، مدينة الشيخ زايد، الجيزة، مصر

للاستفسار والاستعلام

ت ٠٠٢٠٢-٣٨٥١١٩٦٩

٠٠٢-٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

ايميل: attaboneen@gmail.com

C V

الإسم : د/ عطيات فتحي ابراهيم أبو العينين
اسم الشهرة: د/عطيات أبو العينين
الوظيفة : مقدمة برامج باتحادالإذاعة والتليفزيون
محل الميلاد : محافظة بورسعيد
الجنسية :مصرية
للتواصل ٠١٠٠٣٥٥٣٤٥١ محمول
E. mail: attaneeeen@yahoo.com

المؤهلات الدراسية

١- ليسانس آداب قسم علم النفس جامعة القاهرة
٢- تمهيدي ماجستيرقسم علم النفس جامعة عين شمس
٣- ماجستير في الآداب والفلسفة قسم علم النفس كلية الآداب جامعة عين شمس - عام بتقدير امتياز .
موضوع الرسالة / الاغتراب النفسي لدى الشباب في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية «
٤- دكتوراه في الآداب والفلسفة قسم علم النفس بمرتبة الشرف الأولى.
وكان موضوعها : «ديناميات الاختيار الزواجي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية.
- كاتبة للقصة القصيرة
- تكتب المقال الأدبي
- تقوم بعمل أبحاث ودراسات أدبية ونفسية

أعمال منشورة

١- أطفال حكموا العالم دار فرحة ٢٠٠٣م
٢- ضرتي مجموعة قصصية٢٠٠٥م
٣-أطفال حكموا العالم الهيئة العامة للكتاب سلسلة الأسرة ٢٠٠٦
٤- مرارة المشمش مجموعة قصصية الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٨م

-موسوعة أطفال حكموا العالم تصدر عن دار المعارف صدر منها :
٥-الاسكندر الأكبر٢٠٠٦م.
٦-بطرس الأكبر ٢٠٠٦م.
٧-بيبي والقزم دنج٢٠٠٧م.
٨-الحاكم بأمر الله الفاطمي ٢٠٠٨م.
٩- الامبراطور المغولي أكبر٢٠٠٨م.
١٠-خمارويه والأسد زريق٢٠٠٩.
١١-الناصر محمد بن قلاوون٢٠٠٩م.
١٢- بيبي قاهر الرمال روايات الهلال للأولاد والبنات ٢٠٠٨م.
١٣-شبابنا بين غربة واغتراب صدر عن الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٧م.
١٤-تيجان فوق رؤس صغيرة صدر عن الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٧م.
١٥-مشرفة أينشتين العرب ،دار الفاروق ،سلسلة العلماء العرب ٢٠٠٩م.
١٦-الطلاق مرض العصر ، دار المعارف ، سلسلة إقرأ ٢٠١٠م.
١٧- الزواج واختيار شريك الحياة، الهيئة العامة للكتاب٢٠١٠.
١٨- رائد النهضة الماليزية مهاتير محمد، سلسلة مشاهير دار الفاروق،٢٠١٠.
١٩- مارك توين دار صرح ٢٠١٠.
٢٠--طعم الذكريات مجموعة قصصية دار الطلائع ٢٠١٠.

سلسلة نساء حكمن العالم :

٢١-زنوبيا سلسلة نساء حكمن العالم دار المعارف ٢٠٠٩.
٢٢-خنت كاوس سلسلة نساء حكمن العالم .٢٠٠٩
٢٣-القزم الحزين: للناشئة الهيئة العامة للكتاب ٢٠١١
٢٤-مهسوري: رواية من الخيال العلمي، هيئة قصور الثقافة٢٠١٢.
٢٥-رقص العقارب: رواية من الخيال العلمي، دار هيباتيا ٢٠١٣.
٢٦-البدو أمراء الصحراء: موسوعة عن البدو، دار الوراق، الأردن،٢٠١٤.
٢٧-السعار: رواية عن دار كلمات عربية القاهرة،٢٠١٤.
٢٨-علي مصطفى مشرفة عاشق الذرة: سلسلة أفكار غيرت العالم، دار المعارف،(١١) ٢٠١٥.

٢٩-نبوية موسى وبنات الأشراف: سلسلة أفكار غيرت العالم، دار المعارف(١٢) ٢٠١٥.

٣٠-كرات النار: رواية من الخيال العلمي، سلسلة الخيال العلمي(٢)، دار النخبة ٢٠١٦.

دراسات نفسية نشرت بالمجلات:

___ الإغتراب والشباب: دراسة نفسية لمفهوم الإغتراب نشر بمجلة علم النفس بالهيئة العامة للكتاب٢٠٠٧م.

--الزواج والتوافق النفسي: دراسة نفسية نشرت بمجلة علم النفس بالهيئة العامة للكتاب .

- دراسة استطلاعية عن المشكلات التي تعاني منها الطالبات السعوديات في كلية التربية للبنات بالباحة بالمملكة العربية السعودية، مجلة علم النفس عدد يناير -يونية ٢٠٠٩م

عضوية الجمعيات

- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو نادي القصة القصيرة
- عضوية جمعية الكاتبات المصريات
- عضوية نادي ثقافة الجيزة
- عضوية جمعية أدباء ونقاد السينما
- عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب ٢٠١٥-٢٠١٧
- ترأست شعبة الخيال العلمي باتحاد الكتاب.
- رئيس لجنة القصة والرواية باتحاد الكتاب.

الجوائز

-جائزة إحسان عبد القدوس في النقد الأدبي ٢٠١٠

-جائزة قصورالثقافة عن رواية«مهسوري»من أدب الخيال العلمي ٢٠١٢

-جائزة نهاد شريف لأدب الخيال العلمي عن رواية «مهسوري» ٢٠١٣

-جائزة عماد قطري عن«رقص العقارب» من أدب الخيال العلمي ٢٠١٣

-الشئون المعنوية للقوات المسلحة في القصة القصيرة عن «ليلة زفاف»٢٠١٥

كوبون مسابقة أدب الخيال العلمي

- اسم المتسابق:.....
- اسم العمل المشارك به ونوعه .....
- تليفون: .....
- البريد الاليكترونى: .....

للاستفسار والاستعلام

ت ٠٠٢ -٠١٠٩٦١٢٤٢٥٢

٠٠٢ - ٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

attaboneen@gmail.com